معهد البحوث والدراسات العربية

الملل المعاصرة في الدين اليهودي

محاضرات

ألقاها

الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي

[على طلبة قسم البحوث والدراسات الفلسطينية]

١٩٦٨

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الأول

تبلور الدين اليهودى

١ — المنفى وأثره الدينى :

نتج عن نفى كبار وعظماء اليهود فى شتى حقول الحياة من يهودا إلى بابل نتائج مهمة جداً ، وأثر ذلك فى الدين العبرى ، الذى كان يدين به الأولون تأثيراً شديداً .

عندما سقطت أورشليم فى يد جيوش بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد ، كانت هزيمة مملكة يهودا تامة . فقد أحرق الهيكل وتفتتت المملكة وتفرق شمل سكانها الذين نجوا من القتل . فقسم خرج إلى البلاد المجاورة واندمج فى شعوبها(١) . أولئك هم الذين لم يكونوا عنصريين من قبل ، ولم يكونوا يرضون عن سلوك إخوانهم الانفرادى حيال الشعوب المجاورة ، بل كانوا فى أورشليم يطاوعون حكامها كرها ، ويترقبون الفرصة للخلاص .

وهرب قسم آخر فى اتجاه مصر . ولعلهم أرغموا على الرحيل فى اتجاه جنوبى ، خوفاً من ملاقاة البابليين فى الشمال — وهو تفسير ضعيف بالنظر إلى تفوق البابليين العسكرى ، وإحاطتهم بمدينة أورشليم من جميع نواحيها ، وتمكنهم من اللحاق بالنازحين المهزومين مهما خفت خطاهم — أو ميلا إلى صداقة مصر رغم عداوة مملكتهم الرسمية لها . وإن فضلوا اللجوء

---

(١) أرميا ٤٠ : ١١ ، التثنية ٢٨ : ٦٤ .

http://kotob.has.it

إلى مصر فلا بد أيضاً أن سياستهم لم تكن عنصرية متعصبة كسياسة حكومة مملكتهم المهزومة . لقد استقر هؤلاء اللاجئون فى تخوم مصر ، كما نعلم من أرميا (٤٣ : ٧) أنه نفسه كان بين الذين نزلوا فى طفانحس (« دافنة » فيما بعد) وأن آخرين نزلوا فى مدن أخرى فى مصر الشمالية(١).

والقسم الذى يهمنا من هؤلاء النازحين هو قسم الذين سبوا وسيقوا أسرى إلى بابل وأنزلوا فى تل أبيب . ولا شك أنهم كانوا خيرة مواطنى المملكة . إذ لا يعقل أن يقوم البابليون المنتصرون بسبى السوقة والعوام بل الخاصة من الزعماء السياسيين ورجالات الدين والاقتصاد وقادة الجيش. إذا ، فالمنفيون من مواطنى يهودا كانوا القادة ، أى حملة التراث والفكر وأكثر الناس تعلقا بفكر صهيون وأشدهم تعصبا لها ، سواء من الوجهة الدينية أو السياسية أو الاجتماعية . وكذلك كان المنفيون أشد اليهود حرصاً على الكيان اليهودى وحفاظاً عليه ، وأرفعهم ثقافة وأوفرهم غنى. هذا وان البابليين لم يتدخلوا فى شئونهم ، بل تركوهم وشأنهم ضمن المستعمرات التى أقاموها أو خصصوها لهم . لذلك توافرت لديهم جميع المؤهلات للمحافظة على تراث مملكتهم ولاستمرار قيامهم بعاداتهم وشعائرهم . وطبيعى أنهم كانوا يرغبون فى ذلك ، إذ يخفف من وطأة النفى والهزيمة التى لحقت بهم أن يظنوا أن منهاج حياتهم لم ينقطع ولم يتغير .

ومع هذا لم يحتمل العديدون منهم وطأة النفى . فلم يمض عليهم زمن طويل حتى قضت الغربة على شوقهم لوطنهم ، فانقطعت صلاتهم بالماضى ، وأخذوا يعملون فى مدن بابل وقراها كمواطنيها الأصليين . وطالما أنهم

---

(١) أرميا ٤٤ : ١ تشهد الآية (اشعيا ١٩ : ١٨) وما يليها أن هؤلاء اللاجئين لم يبقوا حتى الاحتلال الفارسى لمصر فى عهد قمبيز فحسب ، بل تمكنوا من السيطرة على المرافق الاقتصادية فى مدنهم ، وتزعموا حركات اليهود فى العالم المعروف كله فى عهد البطالسة .

http://kotob.has.it

كانوا يدفعون الضرائب المترتبة على أعمالهم التجارية والصناعية والزراعية لم تقف الحكومة أو الشعب في طريقهم. فأخذوا يثبتون أنفسهم في المحيط الجديد ونجحوا نجاحاً باهراً في أعمالهم . ولا بد أنهم تناسوا عاداتهم وطقوسهم قليلا قليلا إلى أن تم انصهار القسم الأعظم منهم في الجسم البابلي .

لكن هناك عدداً آخر من المنفيين لم يرضوا عن بلادهم بديلا ولا لطقوسهم ودينهم تحويلا أو تغييراً . فهؤلاء لم ينسوا بل أخذوا يتوقدون شوقاً لحياتهم الأولى ، ويتطلعون بأفئدتهم إلى يوم عودتهم لأورشليم . وطبيعي أنهم نظروا إلى دينهم وطقوسه كالفرق الأول والأخير بينهم وبين المحيطين بهم . فلا غرابة إذا أنهم صبوا اهتمامهم عليه فأعادوا بلورته بشكل يتماشى مع واقعهم في بابل ويضمن لهم البقاء .

ونشأ بين المنفيين في بابل زعيم روحي اسمه حزقيال ، جاءت آثاره في الباب المسمى باسمه في الكتاب المقدس . وكان حزقيال قد أعد للكهنوت ، وسبي في الدفعة الأولى سنة ٥٩٧ ق . م . وقام بدور الكاهن زهاء عشرين سنة . كان يطيب خاطر اليهود بتفسيره الأحداث كأنها من صنع الإله يهود ، أرادها لشعبه كي يصهرهم وينقيهم ثم يعيدهم إلى صهيون بعد أن أصبحوا عباداً له خلصاً . فكان يقول على لسان يهوه : « سأضع فيكم قلباً وروحاً جديدين . . . واجعل فيكم شرائع تتبعونها »(١) . وشرح حزقيال في فصول عديدة الهيكل الجديد الذي سيعيد الاسرائيليون بناءه ، وفصل الطقوس القربانية التي ظن أن لا بد لهم من القيام بها عند العودة . وكانت هذه كلها تعليلا لآمال المنفيين الضائعة . ولعله في هذا الوقت حدث تحريف التاريخ الاسرائيلي القديم وأعيدت كتابته . فالأسفار المعروفة باسم يوشع والقضاة وصموئيل والملوك ، وكذلك أسفار الأنبياء أرميا

---

(١) حزقيال ٣٦ : ٢٦ ـ ٢٧ .

http://kotob.has.it

وحوشع وعاموس وإشعيا وميكا وناحوم وحبقوق أعيد نظمها وتنسيقها في هذا العهد . فجاءت مليئة بنزعة العودة والتمسك الشديد بالطقوس القربانية ونظام الكهنوت . وكذلك ، أضيف إلى هذه الأسفار الكثير من العظات الرادعة لشعب إسرائيل عن انصهاره في العالم ، وعن مواطأته لطقوسها الدينية وأخلاقها ، والحاثة له على التمسك بتراثه كي لا يتفتت ويضيع . ولا شك أن نظام القداسة الذي جاءت تفاصيله في الاصحاحات ١٧ إلى ٢٦ من اللاويين ، والذي صب اهتمامه على التفريق بين الشعب المقدس وبقية الانسانية ، وضع في هذا العهد أيضاً .(١) .

وفي هذا العهد أيضاً ، وتحت تأثير أوضاع المنفى ، تأسست الكنيسة كنظام تعبدي وهي ما زالت إلى يومنا هذا مؤسسة التعبد اليهودي الوحيدة . ذلك أن انقطاع المنفيين عن الهيكل ، اضطرهم إلى التجمع في بناء ما للتعبد يوم السبت أو على الأقل ، طالما أنه لم يكن هناك تعبد بالمعنى الرسمي خارج هيكل أورشليم ، اضطرهم إلى التجمع في بناء ما للاستماع إلى خطب وعظات شيوخهم ، إلى كهنتهم يتلون عليهم ما نقلوه من كتبهم وأدبهم الديني . وفي هذه التجمعات ، التي كانت عديدة اضطراراً لأن المنفيين لم يكونوا يستطيعون كلهم التجمع في مكان واحد ، كانوا يجمعون التبرعات لاعانة المحتاجين ويوزعونها ، ويعلمون الشعب ما استطاعوا من

---

(١) يقول جون برايت في كتابة S C M Press ، A History of Israel لندن . ١٩٦٠ ، صفحة ٣٣٠ ـ ٣٣١ : « أن جميع الكتابات التاريخية التثنوية ، من يوشع إلى الملوك الثاني ، التي ربما كانت ألفت قبيل سقوط الدولة ، أعيدت كتابتها وحرفت وزيد عليها — كما في الملوك الثاني ٢٥ : ٢٧ ـ ٣٠ وجعلت . منسجمة مع الوضع الجديد في المنفى . كذلك ، آثار الأنبياء ، الآن وقد أثبتت الأحداث صحة تحاذيرها ، لم يحتفظ بها كتابة وشفاهة فحسب بل دونت من جديد وزيدفيها حواشي كثيرة جعلتها تنطبق على أوضاع المنفى . . . » . ويسرد المؤلف بعد ذلك الكثير من أسفار التوراة التي اعتراها هذا التحريف المغرض .

http://kotob.has.it

طقوس ودروس . وعن هذه التجمعات نشأت الكنائس كمؤسسات دينية ، ثم استمرت إلى ما بعد العودة وبناء الهيكل من جديد لأنها وجدت أنها تؤدى خدمة لا غنى لليهود عنها .

وفى الحقيقة ، تغير المجتمع اليهودى تحت هذه الظروف فأصبح من الوجهة الدينية مجتمعاً جديداً . كان فى السابق مجتمعاً يقوم حول طقس دينى واحد . ألا وهو القربان فى الهيكل الواحد الذى كان لا بديل له . أما فى المنفى ، فقد أصبح مجتمعاً يقوم على التمسك بالتراث والقانون . ولا غرو أن المنفى سبب هذا الحرص الجديد على القانون . فبما أن الدولة اليهودية سقطت والهيكل هدم والطقوس القربانية لم تعد تقام ، لم يبق لليهود مميز عن بقية البشر ، واستحال عليهم تعريف هويتهم بشكل فحوى . إذ لم تعرف لهم هوية سوى الهوية الجغرافية المنطوية عنها كلمة « يهودى » أى « من بلد يهودا » . لذلك بادروا إلى القانون ، وجعلوا هويتهم منوطة بتنفيذهم إياه بحذافيره . وأيد هذا الاتجاه تأويل الأنبياء والزعماء الحاليين والسابقين لذلك العهد بقليل ، من أن النكبة التى حلت بالدولة اليهودية سنة ٥٨٧ كان سببها عدم تمسك اليهود بشريعتهم . وعليه أخذ المنفيون يتسابقون فى تعليق اهتمامهم بحذافير الشريعة . فالسبت والختان مثلا ، عرفها اليهود من قبل واتبعوهما كجزء من الشريعة . إلا أن هذين النظامين أصبحا فى المنفى وحدهما يعرفان اليهودى ويؤديان فحوى هويته كليا . إقرأ مثلا ماجاء فى أرميا ١٧ : ١٩ — ٢٧ وأشعيا ٥٦ : ١ — ٨ ، ٥٨ : ١٣ وما يليه ، فأنت واجد أن إقامة السبت هى الفاصل الواحد والأخير بين الانتماء إلى الميثاق(١) وعدمه . واقرأ ما جاء فى التكوين ٢ : ٢ وما يليها حيث

---

(١) الانتماء إلى ميثاق ابراهيم فى نظر اليهود يعنى العضوية فى الشعب اليهودى . أنظر كتاب أصول الصهيونية فى الدين اليهودى للمؤلف ، صفحة ١٤ وما يليها .

http://kotob.has.it

الادعاء بأن السبت شعيرة « أقيمت عند خلق الكون » . ثم اقرأ فى الخروج ٣١ : ١٢ - ١٧ ، وحزقيال ٢٠ : ١٢ ، حيث الادعاء بأن إسرائيل هى إسرائيل بسبب إقامة السبت . وكذلك الختان ، فقد عرفه الكنعانيون والفينيقيون والموآبيون والمصريون وغيرهم بجانب إسرائيل باستثناء الفلسطينيين والبابليين إلا أنه أصبح فى المنفى(١) . علامة اليهودى المميزة وفحوى يهوديته . أضف إلى ذلك حزقيال ٤ : ١٢ - ١٥ ، ٢٢ : ٢٦ ، ٤٤ وما يليه ، ونظام القداسة فى اللاويين فصول ١٧ إلى ٢٦ لتجد أن مسألة الطهارة الطقسية وأساليبها وأحكامها أخذت أهمية كبرى فى المنفى لم تعهدها من قبل . وذلك لأن المنفيين شاءوا بهذه الوسائل أن يعطوا أنفسهم ميزات حسية وفعلية تفوقهم عن غيرهم من البشر(٢) .

تجب هنا الملاحظة أن عودة اليهود إلى يهودا وإعادة بنائهم الهيكل فى أورشليم سنى ٥٢٠ - ٥١٥ ق . م . لم يغير هذا الاتجاه الدينى . صحيح أنه لعهد قصير ، استطاع قسم ضئيل من اليهود ، وهم سكان أورشليم ، من تعريف أنفسهم على الطريقة القديمة ، أى كأعضاء مجتمع قومى طقسى . إلا أن معظم اليهود - وأكثريتهم كانت تعيش خارج أورشليم بل خارج فلسطين - لم يكونوا يستطيعون الذهاب إلى أورشليم للمساهمة فى طقوسها ولم يكونوا يرغبون فى ذلك . فقد حلا لهم التعبد فى الكنيس بدون طقوس

---

(١) حسب شهادة التكوين ١٧ : ١١ .

(٢) من الأمور الباعثة للضحك ادعاءات رجال الدين الذين صبوا جل اهتمامهم على إعلاء شأن القانون ، ففضلا عما ذكر أعلاه ، قالوا أن السبت كان يقيمه الملائكة وأن اختيار إسرائيل فوق كل الشعوب أعلن عندما خلق العالم (اليوبيليات ٢ : ١٥ - ٣٣) . وكذلك قالوا أن قانون اللاويين المتعلق بالتطهر طبق فى قضية حواء (المصدر ذاته ٣ : ٨ - ١٤) . وأن عيد الأسابيع السبع (Shavu' ot) أقامه نوح كما أقام إبراهيم عيد التوابيت (المصدر ذاته ٦ : ١٧ وما يليها و ١٦ : ٢٠ - ٣١) .

http://kotob.has.it

قربانية . وفضلاً عن ذلك ، لقد ذلك المنفى وسقوط الدولة اليهودية الأساس اللاهوتى للشعائر القربانية. لذلك لم يكن بد من إيجاد عنصر آخر من التراث الإسرائيلى يلتف الشعب حوله ويتماسك به . وذلك بالذات كان ما فعله القانون .

ويمكننا أن نقول أن التمسك بالقانون هو المميز الكبير بين ما قبل المنفى وما بعده فى الدين اليهودى . أما وجود القانون نفسه فلم يكن جديداً. عرفت إسرائيل القانون منذ بدايتها ، عندما كانت اتحاداً قبلياً قائماً على القانون المترتب على الميثاق . وعندما قامت المملكة ، لم يغير من هذا شيء . ذلك لأن القانون لم يكن قانوناً وصفياً من شأن الدولة إبرامه أو إسقاطه، بل قانوناً قدسياً تقوم الدولة على تنفيذه فقط . ولنذكر هنا أن الملك يوشع لم يكن يقدم القانون التثنوى كقانون وضعته دولته ، بل كقانون قدسى قديم تعلن دولته خضوعها له وتمسكها به .

هذه المكانة الممتازة للقانون ، وتفوقه على الطقوس القربانية ، نمت بمرور الزمن فى المنفى ووصلت مرحلة التبلور فى عهد عزرا . فالإصلاح العزراوى قام على القانون وضرورة التمسك به ، وكان بمثابة نهاية طريق وبداية طريق آخر فى التاريخ الإسرائيلى . إن عبقرية عزرا كلها محصورة فى هذا التعريف الجديد الذى أعطاه لإسرائيل . فإسرائيل، فى عرفه الجديد، لم تعد دولة قومية ، ولم تعد مجموعة أبناء مواطنى الدولة الساقطة ، ولا مجموعة سكان أورشليم ، ويهودا ، بل حتى ولا مجموعة من يعترفون بيهوه ويعبدونه . إسرائيل هى من يعترف بالقانون ويتحمل عبأه . بينما كان القانون فى السابق ينظم حياة القوم ، أصبح الآن يجعل القوم قوماً . وبينما كان نتيجة للميثاق الابراهيمى، أصبح الآن فحوى الميثاق ومعنى الدين والتدين كله . بينما كان القانون يدعم الدين ويعطيه بعده الأخلاقى ،

http://kotob.has.it

أصبح الآن هو الدين وهو الأصل بالمستقبل ، وأصبح اليهود لأول مرة كتبيين ، أى لهم دين هو القانون المرسوم فى كتاب . فبينما استخرج أجدادهم الكتاب المقدس من حياتهم وواقعهم التاريخى ، أصبحوا الآن يستخرجون حياتهم وواقعهم من كتاب القانون . هذا هو الطابع الذى انطبع به الدين اليهودى وبقى حتى العصر الحديث .

صحب هذا الرفع من مكانه القانون فى الدين اليهودى تدوين معظم أسفار الكتاب المقدس ، لا سيما الأسفار الخمسة الأولى المسماة بالـ Pentateuch واعتبارها كتاباً مقدساً . ولهذه العملية تاريخ طويل للقارىء أن يراجعه فيما نشر من أبحاث فى تاريخ نص الكتاب المقدس(١) .

---

(١) أهمها الكتب الآتية :

H. F. Hahn, The Old Testament in Modern Research. London : S. C. M. Press, 1956 .

H. H. Rowley, ed., The Old Testament and Modern Study. Oxford : The Clarendon Press, 1951 .

G. H. Wright and R. H. Fuller, The Book of the Acts of God . New York : Doubleday & Co., 1957

Max L. Margolis, The Hebrew Scriptures in the Making. Philadelphia . Jewish Publication , Society, 1922 .

M. Noth , Ueberlieferungsgeschichte des Pentateuchs. Stuttgart : W. Kohlhammer, 1948 .

G. Von Rad, Das Formgeschichtliche Problem des Hexateuch, Gesammelte Studien Zum Alten Testament. Munich : C. Kaiser Verlag, 1958 .

http://kotob.has.it

إلا أن النتيجة الملازمة لهذا الرفع كانت أن أصبح بعدها القانون مطلقاً . فطالما أن القانون هو إرادة الله مجسمة فى أوامر وتعليمات ، فالقانون إذاً مطلق وأبدى كالله نفسه . لا يجوز تغييره ولا تبديله . وكان من جراء هذا أن أفقل باب النبوة فى إسرائيل . إذ أن إرادة الله كلها هنا ، تقرأ وتعلم برمتها فى هذا القانون . فما الحاجة إذا إلى أنبياء آخرين ؟ وما عساهم يأتون به من عند الله غير هذا الذى عندنا ؟ لذلك أصبح التطلع اليهودى لا إلى نبي يأتى بالارادة الالهية كما من قبل بل إلى زعماء أو شبه أنبياء ينفذون القانون(١) .

حتى الطقس القربانى الذى كان فى العهد السابق أصل الدين وركيزته الأولى أصبح الآن لا قيمة له إلا لأنه مأمور به من قبل القانون . ولم يكن القانون يصف الطقس القربانى كما كان يؤدى بالفعل ، بل كما كان يجب أن يؤدى حسب تقدير واضعى القانون ، أى حزقيال وعزرا وغيرهم ، يترتب عن هذا أن الكاهن لم يعد له تلك المكانة المهمة التى تمتع بها فى السابق . فالسلالات الكهنوتية المتمسكة بسدانتها وكهنوتها منذ أيام الملك داود فقدت مكانتها التى تلقفها معلمو القانون وكتبته . وبما أن قراءة القانون كانت متاحة للجميع ، لم يبق للكهنة مهنة يحتكرونها . وبعد قليل ، اضمحلت المهنة الكهنوتية وانقرض الكهنة من الدين اليهودى .

الآن وقد تركز الدين اليهودى كله فى القانون ، أصبح تأويله وشرحه وتفصيله من الأمور المهمة جداً . وبما أن القانون لم يكن وحدة متناسقة الأجزاء والفروع ، وواضحة التطبيق فى جميع الحالات والمسائل ، ترتب

---

(١) أنظر المكابيون الأول ٤ : ٤٦ ، ١٤ : ٤١ ، ٩ : ٢٧ ، ٣ : ٤٨ .

http://kotob.has.it

على ذلك قيام حركة التفسير وتوريق الأحكام كى يتسنى تطبيقها على جميع مراحل الحياة . لذلك نشأت طبقة جديدة ، طبقة الكتبة ، يوقفون حياتهم على دراسة القانون وتحليله واستنباط الأحكام الفرعية منه(١) . وابتدأ فى هذا العهد تطبيق مبدأ تفسير القانون بالقانون أو الكتاب المقدس بالكتاب المقدس كما تشهد الآيات ٤ : ٣٠ ، ٣٣ : ١٥ وما يليها ، ٥٠ : ٦ — ١٣ من سفر اليوبيليات فى أمر تفسير قانون السبت ، والآيات ٢ : ٢٩ — ٤١ من المكابيين الأول فى أمر إيقاف عمل قانون السبت فى حالات الطوارىء الملزمة للدفاع عن النفس .

تجب الملاحظة هنا أن اليهود المتدينين لم يكونوا ينظرون إلى القانون كعبء ثقيل ، على عكس اليهود غير المتدينين ، الذين كانوا يتبرمون ويتأذون من تبعاته . لذلك تركزت دعاية رجال الدين على إقناع اليهود بأن طاعة القانون حلوة ومفرحة ومحببة . اقرأ مثلا الآيات ١ : ٢ ، ١٩ : ٧ — ١٤ ، ١١٩ : ١٤ — ١٦ من سفر الزبور والآيات ١ : ١١ وما يليها من سفر Ecclsiasticus . وادعوا أن فى القانون حياة ونوراً وهدى كما فى الآية ١١٩ : ١٠٥ من الزبور ، وأن من يتبعه لا بد أنه واجد أمناً وراحة وسعادة ، كما فى الزبور ١٤٧ : ١٩ وما يليها . ومع أن القانون أشار فى أماكن عديدة إلى النية الصافية وخشية الاله يهوه ، إلا أنه مقطوع منه أن التقوى اليهودية لم تكن فى يوم من الأيام تعنى تقوى ضميرية صحيحة ، بل انحصر معناها كلياً فى طاعة القانون وتطبيق جميع حذافيره . فالدين كله ، فى عرف الزبور ١ ، ١٩ : ٧ — ١٤ ، ١١٩ ،

---

(١) كان بن سيرا أحد هؤلاء الكتبة ، انظر: Ecclesiasticus ٣٨ : ٢٤ — ٣٤ ، ٥١ : ٢٣ ، برك آيوت ١ : ١ .

http://kotob.has.it

Ecclesiasticus ٢ : ١٦ ، ٢٩ : ١ — ١١ هو محبة القانون ولطبيقه(١) .

بقت لنا ملاحظتان عن تطور الدين اليهودى فى عصرى المنفى وما بعده.

الأولى : أن اليهود تبنوا نظرية الملائكة والشياطين السائدة فى الدين الفارسى وذلك لأن تاريخهم (أى هزيمتهم وتحطيم دولتهم وتشريدهم) أدت بهم إلى الاعتقاد بأن يهوه لم يعد دائم الوجود بينهم ، لم يعد يرافقهم فى شتى الأحوال والأوقات والديار . فنتج عن هذا الإقصاء للاله ، أنه أصبح بعيداً ثم منزهاً عن الاتصال المباشر بشعبه المختار . فجاءت الملائكة تقوم بهذا الاتصال وتعمل كوسيط بين الاله وشعبه المحبب(٢) .

أما الملاحظة الثانية فهى نشأة الوعى الأخروى عند اليهود . فهم لم يكونوا حتى المنفى يعتقدون بأية آخرة ويرون أن الموت خاتمة كل شىء . أما وقد شاهدوا تحطيم مملكتهم وتقتيل رجالاتهم ، متقين كانوا أو أشراراً ، على يد البابليين ثم اليونانيين ثم الرومانيين ثم الأنطاكيين ، أخذوا يتقبلون الفكرة الأخروية الفارسية . إذ لم يعد يعقل عندهم أن الاله لن ينصر شعبه المختار بعد سقوطه ، وعبادة الأنقياء بعد موتهم . ومن هنا بدأ الإيمان بالبعث وبيوم الدين ، أى يوم المحاكمة والانتصار للشعب المختار ، ينمو حتى عم الجميع . ولم يتقبل الصدوقيون الفكرة الجديدة واعتبروها بدعة حتى عهد المسيح . وأود أن أشير هنا ما ذكرته فى هذا الصدد فى كتابى ، أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، مضيفاً أن وعى اليهود الآخرون تبلور منذ عهد المنفى فى خطين عريضين : خط يرى الآخرة كعودة إلى

---

(١) انظر أيضاً إلى تعريف يهوديت بأنها متدينة وذات قداسة لأنها تقيم الأعياد وتصوم وتقيم السبت وتطبق الأحكام المتعلقة بالأكل (يهوديت ١١ : ١٧) .

(٢) انظر فى هذا الصدد جميع أبحاث George Widengren. R.C. Zaehner كذلك بحث تلميذ الأخير H.Ringren المسمى Word and Wisdom , Lund : Hakan Ohlssons Book Tryckeri, 1947 .

http://kotob.has.it

أورشليم الجغرافية وإقامة المملكة الداودية السياسية فيها على يد مخلص يلم شتات اليهود العنصرى (وهذه هى الصهيونية) ؛ وخط آخر يرى الآخرة كبعث شخص ومحاكمة شخصية عن الأعمال فى الدنيا ثم الإحالة إلى ملكوت الله . فالخطان إذا خط مادى عنصرى جغرافى شعبى ، وخط روحانى شخصى دينى بالمعنى الذى فهمه الأبيونيون والأسينيون وأخذه السيد المسيح عنهم فيما بعد .

٣ ـ نشأة التلمود واتمامه

يتألف التلمود من مجلدات عديدة ضخمة ، مضت سنون طويلة ، حوالى ألف سنة ، فى تأليفها وجمعها وتنقيحها . تتحدث هذه المجلدات عن كل شئ : من أهم المبادىء الميتافيزقية والدينية الكبرى إلى أدق وأتفه مراسم الزراعة والطبخ والزينة . والتلمود يعكس لنا التفكير والواقع اليهودى عبر القرون العشرة التى نشأ وتم تأليفه فيها .

لا بد أن التراث الشفهى قديم ، وربما كان أقدم حتى من القانون الموسوى . وكان التحام التراثين الانسانى والالهى تاماً طالما أن الأخير لم يكن مدونا فى كتاب . أما وقد دون فى عصر عزرا ، ابتدأ الخطان ينفصلان عن بعضهما بعضاً . فمنذ عزرا قدس اليهود توراتهم ودونوها ، وهكذا حافظوا عليها أما التراث الانسانى ، فقد استمر ينقل شفهياً من جيل إلى جيل . ومر بنا أن رفع القانون أى التوراة ، إلى مكانة تساوى فيها بالدين كله ، ألزم الكتبة إلى شرحه وتفصيله واستنباط الأحكام الفرعية منه . فعملية الشرح والتفسير والاستنباط إذا اتصلت بالتراث الشفهى والتحمت معه . وتمنع الكتبة عن تدوين شروحهم حتى لا يختلط التراث الانسانى بالتراث الذى اعتقدوه إلهيا . ونشأ بينهم أصحاب الذاكرة الخارقة الذين كانوا يحفظون أسفاراً طويلة غيباً .

http://kotob.has.it

وأول من حفظ لنا التاريخ ذكرهم من رجال من هذا النوع ، شمّاى وهيلل ، اللذين عاشا قبل مولد المسيح بعشرين أو ثلاثين سنة ، وعرف عن الأول أنه كان شديد الحرص على حذافير القانون ، بينما اشتهر الثانى بليبرالية وروح سمحة . ولعلهما يمثلان النزعتين المادية والروحانية التى أشرت إليهما أعلاه . والمعروف أيضاً هو أن تابعى الأخير كانوا قلة تفوق عليهم أتباع شماى تفوقاً كبيراً . ولم يصلنا شيء مما حفظوه وقالوه إلا بواسطة الأجيال اللاحقة .

وعندما حطم الرومان الهيكل والكيان اليهودى سنة ٧٠ للميلاد قام يوحنان بن زكاى أحد أتباع هيلل بتأسيس مدرسة فى يبنا بعد أن هرب من أورشليم المهدومة . هناك ، ابتدأ يوحنان يعلم تلاميذه ماحفظه من تراث ، إيماناً منه بأن اسرائيل لن تقوم إلا بقانونها وتراثها الدينى. ويشهد لنا مدى تشاؤمه من قيام إسرائيل السياسية مانسب إليه من قول بأن أعظم جندى لإسرائيل ليس المحارب بل التلميذ الذى يدرس ويكرس أكبر الجهد والوقت لحفظ القانون وتعليم تلامذة آخرين . وقد أضفى يوحنان على مجلسه فى يبنا ، الذى اسماه « بيت الدين » ، مكانة الإفتاء والحكم التى كان يتمتع بها مجلس السنحدرين فى أورشليم. إذ لم يعد هناك مجلس لهم بعد سقوط الدولة . واستمرت مدرسة يبنا هذه تتمتع بمكانتها مدة ستين عاماً أنجزت خلالها جمع الكتاب المقدس ، مضيفة إليه أنشودة الأناشيد وسفر — Ecclesiases ومقصية عنه سفر بن سيرا . كما أنها أقنعت اليهود بأن هذا النص هو النص الكامل للكتاب المقدس وأنه لازيادة فيه ولا نقصان بعد اليوم .

وفى عهد الأمبراطور هادريان ، برز بين دارسى القانون الربان عقيبا .

http://kotob.has.it

وكانت ميزته قوة إدراكه ، وسرعة استنباطه للأحكام من النصوص . فتزعم مدرسة يبنا وقام باركوخيا بثورته فى ذلك العهد ضد الحكم الرومانى فانضم عقيبة إليه وأخذ يطنطن له بأنه المخلص المنتظر « والنجم الخارج من يعقوب » . وباقتلاع الثورة ! سقط عقيبا بيد الرومان وأعدم تمزيقاً على مرأى العموم . وعليه ، صب الرومان غضبهم على يبنا ومدرستها . بل وتعدوا ذلك إلى الدين اليهودى نفسه . فحرموا الختان ، وإقامة السبت والأعياد وأى طقس من الطقوس ، وكذلك أبرموا قانوناً يعد بموجبه كل من درس القانون مجرماً يستحق عقوبة الموت .

تبعثر على الأثر ماكان فى يبنا من مخطوطات وآثار . واختبأ من استطاع النجاة من الربابنة وتلاميذهم فى قرية (أوشا) قرب مدينة حيفا محتفظين بما استطاعوا تخليصه من آثار إلى أن ألغى الامبراطور أنطونينوس بيوس سنة ١٣٨ الاضطهاد الذى أنزله سلفه باليهود . وعليه انتقلت العاصمة الدينية من يبنا إلى شمال فلسطين . وهناك تزعم الحركة الربان مايير وتمتع بمكانة جعلت ربابنة القرن الثالث يقولون: « عندما لايذكر اسم العالم بالذات فى أى فصل من فصول المشنا ، يجب أن يفهم أن واضعها هو الربان مايير ». وأخيراً ، قام الربان يهودا ، وكان من تلامذة الربان مايير ، زعيما لمدرسة القانون شمال فلسطين ، بين صفد وطبريا . وهناك ، تحت إشرافه حوالى سنة ٢٢٠ للميلاد، جمعت آراء ومحفوظات مئة وثمانية وأربعين Tannaim أو معلمين فى ستة فصول سميت ونسقت كما يلى :

(١) البذور ، وفيه قوانين الزراعة والصلاة وحقوق الفقراء ،

http://kotob.has.it

(٢) الأعياد ، وفيه قوانين السبت والأعياد وطقوسها .

(٣) النساء ، وفيه قوانين الزواج والطلاق والنذور ،

(٤) الإضرار ، وفيه القوانين المدنية والإجرامية .

(٥) المقدسات ، وفيه مراسيم القربان وطقوس الهيكل .

(٦) التطهرات ، وفيه الطقوس اللاوية وقوانين الطهارة .

إلا أن عملية التدوين الخطى لم تتم وبقيت المشنا تنقل من جيل لجيل حفظاً عن ظهر قلب حتى سنة ٣٩٠ للميلاد ، فقد تم تدوينها ومنذ ذلك الوقت وهى تعرف بالتلمود الفلسطينى .

ونشأ فى بابل ربانان ، صموئيل وأبو عريقا المعروف بسراب ، نزعا الزعامة الدينية لنفسيهما ، أو بالأحرى ، لبابل ، من فلسطين . وكان هذان الربانان أشد ذكاء ودهاء من معاصريهما فى فلسطين ، ومع أنهم ركزوا أعمالهم على المشنا الفلسطينية كأساس ، زادوا ونقحوا وغيروا الكثير ليجعلوها متجانسة مع روح العصر . وأفتى الربان صموئيل لأول مرة فى تاريخ التشرد اليهودى أن قوانين دولة المهجر قائمة وقاطعة فى كل مايتعلق بحياة سكانها اليهود ماعدا الطقوس الدينية .

ومنذ أن وضعت المشنا ، والتعليقات والتفسيرات والاستنباطات منها وحولها وعليها تتضخم وتزداد مما أصبح يؤدى إلى تشابك المواد مع بعضها بعضاً بشكل يصعب حله . لذلك قام ربينا الثانى ، رئيس مدرسة سورا ببابل سنى ٤٧٤ — ٤٩٩ ، وذلك فى عهد يزدجرد الثانى ، بجمع وتصنيف وتدوين هذه التفسيرات الإضافية ، والتى يطلق عليها اسم جمارا Gemena

http://kotob.has.it

ولم يفرغ من عملية التدين هذه إلا فى أوائل القرن السادس للميلاد . فالتلمود البابلى يتألف إذاً من المشنا والجارا ، أو التفسيرات المجموعة فى عهد رابينا الثانى .

وتقسم مواد التلمود أيضاً ، سواء الفلسطينى أو البابلى ، إلى حلقا وهجادا ، ويعنى بالأولى المواد المنظمة للحياة اليهودية ، علمانية كانت أم دينية ، شخصية أم مجتمعية . ويعنى بالثانية المواد القصصية والتاريخية والأدبية التى جاءت مفسرة أو ممثلة أو مجسمة لأحكام الحلقا .

http://kotob.has.it

الفصل الثانى

الدين اليهودى فى القرون الوسطى

١ ــ نشأة القابالا وتصنيف الشولحان أروخ :

جاءت ومضت قرون ، واليهود لم يزيدوا على التلمود شيئاً سوى التعليقات العميقة . ومن الناحية الدينية ، ظلوا متمسكين بالقانون كما تبلور فى التلمود ، يدرسونه ويقلبون صفحاته ، فيجدون فيه كل ما يريدون ، ولا يتخطونه فى تفكيرهم قيد أنملة . وكثيراً ما خاطوا حول النصوص الخرافات والخزعبلات وأعمال السحر وأقواله سعياً وراء التحرر من نير التاريخ . وكثيراً أيضا ما وقع اليهود خلال القرون الوسطى تحت سطوة المشعوذين منهم الذين استغلوا تطلعهم إلى الخلاص والعودة لإسرائيل ، معلناً كل واحد منهم أنه هو المسيح المنتظر . وكان أهم مظاهر هذا التخاذل والانحطاط الفكرى القابالا والشولحان أروخ .

انتقلت عدوى التصوف الغالى فى المذهب الغنوصى، فى الإشراق والباطنية والحروفية والأعدادية ، أو Numerology ، والسحر ، أى Alchemy ، إلى اليهود. ورأى الكثير من اليهود فى هذه المذاهب خلاصاً لا من الاضطهاد المسيحى فحسب ، بل من التعصب المتناهى الذى كان يبديه رجال الدين منهم للقانون ، ومن مطالبتهم الناس بالانصياع إلى أحكامه وتطبيقها بحذافيرها . ولذلك ، راجت المذاهب الصوفية بينهم رواجاً كبيراً . وأهم هذه المذاهب هو المذهب المعروف بالقابالا .

يعتبر كتاب الخلق الذى أنتجه التصوف اليهودى أهم الكتب اليهودية

http://kotob.has.it

إطلاقاً بعد التلمود . وقد نسب هذا الكتاب إلى إبراهيم وعقيبا وغيره من الربانية فى العصر التلمودى . ولكنه وجد مدوناً فقط فى القرن التاسع عندما ألف سعاديا جاءون تعليقاً عليه . فبدل المنطق الأرسطوطالى ، والحكم العقلى، فسر هذا الكتاب خلق العالم كتجمع عفوى لبعض الحروف والأعداد الاثنى والثلاثين - Sephiroth - التى أسماها « طرق الحكمة » ، وجعل لكل من هذه الطرق قوى فعالة فى تاريخ البشر والعالم . وكذلك اتبعت جميع مؤلفات ابراهيم أبى العافية نفس المنهاج الفكرى . ونشر موسى الليونى كتاب Zohar « الإشراق » فى القرن الثالث عشر مدعياً أن محتوياته وحى من شمعون بن يوحاى أحد ربابنة القرن الثانى . إلا أن أتباعه أبوا إلا أن ينسبوا الكتاب إلى النبى موسى بالذات ، بل أنهم ادعوا أن موسى هو الاله الذى سيحاكم البشر يوم البعث . والقانون فى نظر كتاب « الإشراق » ذو مستويين : ظاهر وباطن ، مما شجع اليهود على تلفيق أية معان يريدونها وإلصاقها بالقانون .

وفى اتجاه معاكس للتصوف ، أخذ يوسف كارو سنة ١٥٥٥ يصنف دليلا للحياة مبنياً على قوانين التلمود وشروحه ونشره سنة ١٥٦٧ وأسماه « شولحان آروخ » . وكان هذا الكتاب بمثابة قائمة يرجع إليها فى كل كبيرة وصغيرة ، من قبل الرجال والنساء والأطفال فى كل ما يخص أمور الحياة. فهو تلمود مصغر لا يقبل الجدل ولا المخالفة ولا التفسير ، قبله اليهود كأنه مفتاح الخلاص وعذروا أنفسهم من عناء البحث والدرس ، بل من عناء الفهم لدينهم وقانونه وراحوا يقيسون كل كبيرة وصغيرة بهذا المختصر المسهل . فأصبح تفكيرهم ميكانيكياً لا حياة فيه ، وأصبحت حياتهم جافة لا قيمة فيها سوى المادة والبيولوجيا .

http://kotob.has.it

٢ — الجيتو وأثره فى الدين (١) :

اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد ، ولم يعترفوا لهم بأية حقوق مدنية . إذ أقصوهم من جميع العلاقات الاجتماعية بين المواطنين . لذلك لم يكن اليهود ليتأثروا بالحركات الفكرية والسياسية والعلمية والفنية التى عملت فى المجتمعات الأوربية حولهم. ومن الناحية الدينية، كان هم الكنيسة المسيحية تفريق اليهود عن المسيحيين والحفاظ على هذا التفريق . وكان قسيسوها ، من البابا حتى قس القرية يحملون على كل من تعامل مع اليهود من رعيتهم تعاملا سافراً . كما أن المجالس البلدية كانت تحذو حذو مجلس رافينا فى إيطاليا حيث قرر سنة ١٣١٧ « أنه بالرغم من سماح الكنيسة لليهود بالبقاء فى الديار المسيحية ، يجب ألا يسمح لهم (أى اليهود) بأن يؤذوا المسيحيين. ذلك لأنهم يردون الحسنة بالسيئة والصداقة بالاحتقار والعداء . ولهذا ، وبما أن فضائح عديدة حصلت بسبب تمازج اليهود بالمسيحيين فإن المجلس الخاص لهذه المقاطعة والمجتمع منذ . . . . قرر أن على رجال اليهود وضع دائرة من القماش الأصفر على ظهورهم ، وعلى نسائهم وضعها على رؤوسهن ، كى يتسنى للكل تمييزهم عن المسيحيين(٢) .

أما النظام الاجتماعى المقرون بانفصال اليهود عن المجتمعات الأوروبية فهو الجيتو . لا شك أن هذا النظام قديم وسابق لقوانين الإقامة الإجبارية فى الجيتو التى سنها الأوروبيون . فمن المسلم به أن يميل أبناء الدين الواحد

---

(١) قيل أن كلمة : Ghetto اشتقت من الكلمة الايطالية Ghetto أى « مسكب المسافع » إشارة إلى الحى المجاور لهذا المسكب الذى كان يسكنه اليهود . وقيل أيضاً أنها مشتقة من كلمة : Judaca أى مكان سكن اليهود ، أو من الكلمة العبرية « جت » الواردة فى التلمود بمعنى « الانفصال » .

(٢) Abram Leon Sachar, A. History of The Jews. New York : Alfred A. Knopf 1967 . صفحة ٢٥١

http://kotob.has.it

والثقافة الواحدة إلى السكن بالقرب من بعضهم بعضاً . إلا أن النظام لم يعمل به كنظام قبل القرن الحادى عشر . فمدينتا ساليرنو وبارى بإيطاليا عرف أن فيهما جيتو منذ ذلك الوقت . أما مدينتا طليطلة وقرطبة فى أسبانيا فقد صدر مرسوم ملكى بعد احتلاله من قبل المسيحيين بتأسيس جيتو فيهما يقول : « على جميع اليهود والعرب فى كل مدينة وبلدة وقرية وناحية فى المملكة ... أن يتجمعوا ويسكنوا فى مناطق مخصصة لهم ، وأن لا يختلطوا بالمسيحيين ، بل عليهم أن لا يجتمعوا معهم تحت سقف واحد » . وما أن جاء القرن السادس عشر حتى اندفعت مدن أوروبا اواحدة تلو الأخرى إلى سن قوانين تفرض على اليهود السكن فى الجيتو حتى أنه لم يبق مكان فى القارة كلها يعدون فيه اليهود بين المسيحيين ، أو يختلطون بهم أى اختلاط .

وكان الجيتو فى معظم الحالات يقع فى أوسع وأردأ البقاع ، ولم يكن له منفذ للتوسع رغم ازدياد السكان القاطنين فيه . لذلك كان الجيتو فى كل مكان غاصاً بالسكان مما يسهل انتقال العدوى والأوبئة . وإقامة اليهود الإجبارية فيه ومنع اتصالهم بالمحيط المسيحى سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود وحياتهم . لم يكن الجيتو معقـــل الأوساخ والقاذورات المادية فحسب ، بل العيوب الاجتماعية . فكان مركز الموسسات وبؤرة الفساد والدسيسة ومقر المتعاملين بالربا . إذا كان يصب اليهودى كل جهده فى الحفاظ على حياته . ولم يكن يهمـــه أن يحقق سلوكه القيم الأخلاقية وذلك لأنه قرر أن الأولوية فى كل شىء للبقاء وملزماته . وكان اليهودى يدخل فى هذا القرار ويتبناه فيما يتعلق بحياته الشخصية وحياة زوجه وأولاده وبناته حراً ومسئولا . إذ كان يمكنه أن يحارب ويموت أو يتنصل عن دينه الموروث أو يهاجر إلى الشرق الإسلامى حيث لا اضطهاد ولا تفرقة عنصرية .

http://kotob.has.it

أما المسيحيون فكانوا ينظرون إلى اليهود نظرة ملؤها الأزدراء والكراهية . وكان يسهل عليهم اتهام اليهود بالخيانة . فالولاء الوطنى لم يكن فى ذلك العهد للبلاد بل للأمراء وللملوك . ومن السخف أن ينتظر من اليهود إعطاء ولائهم لجلاديهم ومعذبيهم الشخصيين . وساعد الجيتو بمنعه الاتصال بين الشعبين اليهودى والمسيحى على الصعيد الفكرى ، على انتشار وتضخيم الأكاذيب المغرضة عن سحريات وشيطنة اليهود وعن وحشيتهم وغدرهم ، وإن كان الكثير من هذه التهم فى محله . كذلك ، نتج عن انفصال اليهود الفكرى أنهم لم يتعلموا لغات المجتمعات التى كانوا يعيشون فيها . إذ كان للجيتو لغته الخاصة ، وهى المسماة « Yiddish » . وهى خليط غير منسق من العبرية والألمانية والبولندية والروسية وغيرها من لغات أوربا . هذا عند اليهود الأوروبيين أو الاشكناز . أما ما يقابل الـ Yiddish ـ عند اليهود الشرقيين (أى النازحين من الأندلس أو الشرق إلى أوروبا) فكان يعرف بلغة « Ladino » وهى خليط من العبرية والأسبانية .

ويرجع نظام الجيتو إلى حجة لاهوتية تمنطق بها المسيحيون فى اضطهادهم لليهود والحكم عليهم بالمعيشة الانعزالية . فمنذ البداية ، اعتبرت المسيحية الغربية اليهود كعنصر من العناصر المكونة للدراما اللاهوتية المسيحية ، أى أن اليهود هم الذين قاموا بصلب المسيح وقتله ، ثم برفضه كمخلص للبشر . ومهما كان من أمر التبشير المسيحى بينهم ، أو من إكراههم على اعتناق هذه المسيحية الغربية ، فإنهم لم يحيدوا عن دين آبائهم . ولهذا اعتقد المسيحيون أنه لابد لليهود من العذاب فى هذه الدنيا جزاء لهم على عنادهم . ولكن المسيحيين الغربيين لم يكونوا يفرحوا بدخول اليهود فى دينهم . فهم أرادوا لهم البقاء كيهود معذبين فى الأرض ليكونوا مثلا وتحقيقاً لخسران الراغبين عن المسيح ودينه . لذلك حافظوا عليهم إذ كان فى مقدورهم القضاء

http://kotob.has.it

على الجنس اليهودى برمته(١) . ففى روما، مثلا ، كان السكان اليهود يقعون فى عهدة البابا بالذات ، يحافظ عليهم ويرعاهم برعايته ، كى يكونوا مثلا حياً للشر الذى جاء المسيح ليخلص البشر منه ، وكأنهم إخوان للشياطين على الأرض فى معرض دائم للبشر أجمع(٢) . وبما أن اليهود تفوقوا على المسيحيين كثيراً فى العلوم الطبية والجراحية والكيميائية بسبب اتصالهم بالعرب ونقلهم هذه العلوم عنهم ، حسبهم المسيحيون سحرة وأيقنوا أن ما يقوله لاهوتيوهم من أن اليهود إخوان الشياطين مثبت بالفعل .

كانت هذه النظرة اللاهوتية لليهود بمثابة القاعدة الأولى لجميع العلاقات المسيحية اليهودية وعلى أساسها تنظمت هذه العلاقات ومن أولى مفترضاتها أنه لا يجوز للمسيحى أن يعمل بإدارة اليهودى ، وبالتالى أن يكون موظفاً أو عاملا عنـــده ، مما أدى إلى عدم تمكن اليهود من امتلاك الأراضى وتوظيف المسيحيين كزارعين فيها . هذا فضلا عن القانون المباشر بتحريم تملك اليهود للأراضى الزراعية . وترتب عن إقصاء اليهود عن الزراعة وتحريم الربا على المسيحيين وعدم اتصالهم ببلاد الشرق أن اضطر اليهود إلى مزاولة التجارة والاستيراد بفضل صلاتهم بيهود الشرق أو الأصقاع

---

(١) Isrsel Abrahams, Jewish Life in The Middle Ages. Philadelphia : The Jewish Puplicetion Society, 1896. London : Goldston & Co., 1932.

Malcolm Hay, The Foot of Pride : The Pressure of Christendom on The People of Irael for1900 years. Boston : Beacon Press, 1950.

James Parkes, The conflict of The Church and The Synagogue. London The Soncino Press, 1943.

(٢) Ferdinand Gregorovius, The Ghetto and The Jews of Rome, tr. Moses Hadas. New York : Schocken Book, 1948, صفحة ٤٥

http://kotob.has.it

الغربية الأخرى عن طريق سكانها اليهود . ونبغ اليهود فى عمليات التمويل والبنوك التى لم يكن الدين المسيحى يسمح لأتباعه بالتعامل بها . فسيطروا على الأموال ومرافق البلاد، وكونوا طبقة بورجوازية بين العمال والفلاحين من جهة وبين الملوك وأمراء الإقطاع والنبلاء من جهة أخرى . فكانوا موضع حقد الأولين وكراهيتهم واتهامهم بامتصاص الأموال والأرزاق، ثم موضع الاضطهاد ونزع الأموال والضرائب من قبل الآخرين . وبالرغم من فرض ضرائب عديدة ومتنوعة عليهم (مثل ضرائب عن الشخص ، والجماعة ، والحماية ، وضرائب مفروضة على كل بيت وضريبة سميت بعشاء الملك فى أسبانيا، وضريبة تتوجه فى فرنسا وضريبة تعيين الموظفين المعنيين بأمور اليهود ، وضرائب البناء والهدم ، وضرائب المرور والمساهمة فى الأسواق ، بل حتى ضرائب فرضت على الموتى وعلى حفر القبور) كانت عائدات اليهود فى انجلترا قبل تحررهم تعادل $\frac{1}{13}$ من دخل الأمة الإنجليزية كلها وبلغت أكثر من هذه النسبة فى بلاد أوروبا الأخرى(١) .

إلا أن آثار الجيتو فى اليهود لم تكن كلها شراً . فقد ترتبت عليها نتائج حسنة جداً . يرى اليهود أنفسهم أنه لولاها لاضمحل كيانهم وساحت هويتهم فى المحيط الأوروبى . ذلك أن حياة اليهود مع بعضهم بعضاً ضمن جدران الجيتو وتعرضهم للمصير الواحد زكى فيهم شعلة تضامن كانت ولا تزال من أقوى وأوثق العرى التى عرفها الإنسان، لاتفصم حتى بالموت. فقد أدى الجيتو إلى نشوء وعى جماعى بين اليهود انحصر فى امتثال اليهودى لرؤسائه وتوليته لشعبة أجل الولاء ، ومحافظته على القانون ـ أى التوراة ـ وتحقيق الواجبات المنبثقة عنها .

---

(١) السابق ذكره ، ص ٢٥٤ ، راجع كتاب

Abraham Leon Sachar, A. History of The Jews .

http://kotob.has.it

كان هذا التطور مجارياً لمتطلبات الزمن . فقد ساد القرون الوسطى الأوروبية نظام الأسر ، إذ لم يكن للفرد مكان يذكر فى المجتمع سوى كونه عضواً فى هذه الأسرة أو تلك ممن كان المجتمع يتألف منها ، على طريق القبائل فى المجتمع العربى الجاهلى . فالأسرة الأوروبية كانت منشأ الحقوق الفردية والسلطة التى لابد من الرجوع إليها فى تطبيق أى حق يقع على الفرد . وكان النظام الأسرى يرتبط أشد الارتباط بالكنيسة بل ويقوم عليها ومنها . أى أن الأسرة تحصل على هويتها وعلى هوية أعضائها من الكنيسة . فهى القائمة بالتزويج والتعميد والتثبيت ، ولا أسرة ولا وجود بدون هذه المراسم . أما اليهودى فهو بطبيعة الحال غير قابل للانخراط فى هذا النظام وبما أنه لابد له من نظام يعيش به ، أملت الحاجة على المسيحيين أن يعترفوا بالنظام المالى .

لست أدرى منشأ هذا النظام فى الغرب . قد يكون انبثق عن الحاجة انبثاقاً تلقائياً ، وقد يكون طالب به اليهود ، وهم يعرفونه حق المعرفة من النظام الاجتماعى الإسلامى ـ على الأقل أولئك الذين خبروا هذا النظام فى البلاد العربية ـ ثم انتشر فى مدن أوروبا . والنظام الملى يرتكز إلى اعتبار اليهود كلهم فى منطقة من المناطق كأسرة أو قبيلة واحدة ، وحصر السلطة والحقوق والواجبات فى رئيس أو مجلس يتولى إدارة أمورها ويمثلها لدى القضاء وسلطات البلاد . فالسلطة الأبوية التى كان يتمتع بها رئيس الأسرة فى القانون الرومانى وضعت بموجب هذا النظام فى الشعب اليهودى كشعب ، وتركوا له أمر تنظيم فعاليتها فى المجتمع اليهودى .

وكان هذا الحل لمشكلة الكيان اليهودى فى أوروبا فتحاً ومعجزة أنقذته .

فبموجب هذا النظام كان الحاخام أو مجلس الربانة المسمى « بيت الدين »

http://kotob.has.it

يأمر اليهود ويحكم ويحاكم ويسجن ويقتل ويجازى باسم ملك البلاد ، فقامت حياة الجيتو كلها ، من مأكل ومشرب ، ومعاملة وأخلاق ، وحياة وممات ، على القانون — أى التوراة — مقيدة على كل مستوى . فكانت منظمة الشعب اليهودى هى التى تتولى شؤون التعليم وتصرف عليه ، وشؤون العبادة فتعين الحاخامين والمفتشين ، وشؤون الأمن والنظام داخل جدران الجيتو . فهى التى كانت تجبى الضرائب من اليهود لا للأمور الداخلية والخاصة فحسب بل للدولة . إذ كانت حكومة الملك أو الأمير تفرض الضريبة على الشعب برمته وكان للمنظمة اليهودية شأن توزيعها وجبايتها . فهذه المنظمة العامة للشعب اليهودى فى منطقة ما كانت المنظمة الأولية التى تخضع لها أو تتفرع عنها جميع المنظمات اليهودية الأخرى . وكان للمنظمة اليهودية فرع قضائى (بيت الدين) يتمتع بسلطة الدولة فى فرض العقوبات والجزاء على الأفراد اليهود . إلا أن سلاحه الأكبر ، السلاح الذى كان يعتبر أشد تأثيراً وبطشاً من الموت ، هو سلطته بنبذ اليهودى الخارج على طاعته ، فالشخص المنبوذ فى ذلك الزمن كان لا وطن ولا أمة له ، عرضة للقتل والسبى والنهب بدون رادع أو حماية . وكان أول مايتعرض له المنبوذ مصادرة جميع أملاكه وماله من قبل حكومة الدولة لاعتباره « كرجل حرب » ، حسب التعبير الإسلامى .

فالجيتو إذاً هو أكبر وأهم العوامل التى أدت إلى الحفاظ على القانون وبالتالى على يهودية اليهودى . ولم يكن لليهودى اختيار آخر . فإما أن ينتصر أو يعرض نفسه للقتل والسبى والنهب أو أن يطيع أوامر الحاخام ويمتثل لإرادة الشعب اليهودى المتجسمة فى التوراة وتعاليمها كما يزويها له الحاخام ويحكم بها عليه أو له . لم يكن للفرد اليهودى أى حق فى تحويل أو تبديل أو تأويل القانون كما رأينا من قبل . ولم يكن له أيضاً حق استئناف ما يحكم به بيت الدين ، إذ كانت تقاريره — Takkanoth — سارية المفعول على الجميع ولا مرجع عنها لأى كان .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الثالث

عصر التنوير والتحرير

١ — نحو عهد جديد :

ظن العلماء إلى وقت قريب أن عدم الاتصال بين اليهود والمسيحيين بقى مقطوعا طوال القرون الوسطى إلى أن جاء العصر الحديث . إلا أن البحث العلمى الحديث فى كثير من مصنفات ذلك العهد غير هذا الانطباع .

أدت الحروب الصليبية حال انتهائها إلى انتعاش فى الحياة الأوروبية على جميع المستويات . إذ انتشرت التجارة بين الشرق والغرب وأخذ الغرب ينهل من مرافق الحضارة العربيـــة . وعلى الأثر ، كبرت المدن وتضخمت ونشطت الحركة فيها مما أدى إلى نشوء حضارة مدينية ، لا قروية زراعية ، تعتمد على حركة التجارة ورجالها لا على الكنيسة وأنظمتها . وشدت الحضارة الجديدة الشعوب إليها وكادت تغير مجتمعاتها من النظام الأسرى إلى نظام شخصى تعاملى ينطوى عن اعتبار المواطن بما عمل لنفسه أو عليها ، لا بالأسرة أو الملة التى ولد فيها . ودبت هـذه الحياة الجديدة فى مدن إيطاليا ، فكان عصر النهضة : Renoissanco ثم تعدتها إلى مدن أوروبا الأخرى .

وعليـــه ، زاد الاتصال بين اليهود والمسيحيين لا فى مضمار التجارة فحسب بل على الصعيد الاجتماعى . فكثيراً ما كان لرجالات عصر النهضة زملاء يهود . حتى القصر البابوى لم يخل من الزوار اليهود ، لاسيما أثناء

http://kotob.has.it

بابوية كليمنت السابع (١٥٢٣ — ١٥٣٤) ، أحد أعضاء أسرة دومديتشى المشهورة ، الذى استضاف اثنين من مدعى النبوة اليهود ، سليمان مولكو وداود روبينى حماهم ضد الاضطهاد القضائى — Lnquisition (١) .

وفى البندقية ، حسب شهادة رسائل الحاخام ليون دامودينا ، كان يلتقى عدد من الحاخامين ورجالات الكنيسة لتبادل وجهات النظر فى الأمور الدينية واللاهوتية فى جو من الصداقة وحسن النية المتبادلة(٢) . وتحت هذه الظروف أيضاً ، تعرف اليهود على موسيقى المسيحيين . فكلف اليهودى سليمان دوروسى ، وكان عازف كمان فى بلاط أمير مانتوا ، بتأليف عدد من القطع الموسيقية متجانسة تمام التجانس مع موسيقى المحيط النهضوى الإيطالى . بل أن الحاخام إبراهام يوسف جرازيانى قرر لأول مرة فى تاريخ اليهود استعمال الأرغن فى كنيسة بالرغم من القانون التلمودى الذى يعتبر إدخال الآلات الموسيقية بجميع أنواعها على الكنيس إثماً وكفراً(٣) .

وكان أكبر مدى للحرية الشخصية ماتمتع به سكان هولندا اليهود ، فالحظور على اليهود كانت جد قليلة . ومن هولندا ، التى آوت أعداداً كبيرة

---

(١) Gecil Roth, The Jews in The Renaissance. Philadelphia : Jewish Publicatin Society 1959 صفحة ٢٢ وما يليها

(٢) Ellis Rivkin, Leon da Modena and the Kol Sakhal. Cincinnati : Hebrew Union College Press,1952. صفحة ٢٥

(٣) Grove,s Dictionary of Music and Musicians. London : Macmillan & Co, 1954, VII, ص ٢٤٣ وما يليها

Abraham Z. Idelsohn, Jewish Music in its Historical Development, New York : Henry Holt,1929, ص١٩٦-٢٠٣

http://kotob.has.it

من اليهود النازحين من انجلترا وفرنسا ، عاد اليهود إلى الهجرة إلى انجلترا واستعمارها بعد أن أطاح أوليفر كرومويل بالقوانين الاضطهادية المتحكمة بيهود انجلترا منذ أن جاءوها لأول مرة . وفى الواقع لم، تتح قوانين انجلترا لليهود التجنس بالجنسية الإنجليزية إلا بعد نقض قانون الجنسية لسنة ١٧٥٣ . ومن هولندا أيضاً جاء أول مهاجرين إلى أمريكا سنة ١٦٥٤ ونزلوا فى المستعمرة الهولندية التى كانت تسمى نيو امستردام وهى مدينة نيويورك . فهؤلاء اليهود النازحين إلى أميركا لم يكونوا جاءوا من بلاد أقرب ماتكون إلى التحرر فحسب ، بل نزلوا فى بلاد لا تعرف الجيتو ولا تشعر بأية قيود تجاه الخبرة الأوربية فى هذا الصدد ، فكان هؤلاء اليهود أول يهود عصريين .

٢ — حركة التنوير فى أوروبا :

فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، وصل نمو قوى عقلية واجتماعية وسياسية كانت قد ولدت خلال عصر النهضة درجة التفجر . فكان عصر التنوير والحركة المسماة باسمه . تقوم حركة التنوير على مبادىء خمسة ، وهى سهلة التناول والفهم ، ألا وهى :

(١) يتألف الكون من عناصر وقوى مرتبطة ببعضها بشكل معقول أى تتحكم فى علاقاتها قوانين تؤلف فى كليتها سنة عقلانية لا تبديل لها . فكل مافى الكون يخضع لها .

(٢) عقل الإنسان يؤهله لاكتشاف قوانين الكون وبالتالى لمعرفة أسراره .

(٣) عقل الإنسان وما يقوم عليه من مبادىء عامة كاف لتفهم معانى الكون .

http://kotob.has.it

(٤) لاحاجة إذاً للعقل الإنسانى بأن يرجع إلى الوحى أو المعرفة الماورائية ، لإدارة حياته وشؤون الدنيا .

(٥) وإن اعترف بأن ما كل تعقل يصيب قوانين الكون وأسراره فإنه يكفى أن عقل الإنسان قابل إذا ماهذب ، أن ينفذ إليها . فالإنسان جدير بتصحيح أخطائه .

قال مونتيسكيون : « عالم الإنسان أقل انصياعا للقوانين من عوالم الحيوان والنبات والجماد ، وبالرغم من أن لهذا العالم قوانينه الخاصة به ، وهى قوانين غير قابلة للتبديل فى حد ذاتها ، لايمتثل الإنسان لهذه القوانين دائماً وأبداً . يرجع هذا إلى أن الإنسان كمخلوق وذى طبيعة محدودة ، معرض للخطأ . وهذا بالرغم من أن الانسان تلزمه طبيعته للحياة ككائن حر . ولهذا ، نجد الانسان لايمتثل دائما لقوانين عالمه ، بل حتى ولا للقوانين التى يسنها هو لينظم سلوكه فى العالم »(١) .

ويقول كانت : « التنوير هو الافراج عن الانسان من الوصايات التى فرضها هو على نفسه . والوصاية هى عدم جرأة الانسان على استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير . ولم تكن هذه الوصاية مفروضة على الانسان من قبل أحد . ذلك أنها لاتعتمد على نقص فى العقل بل فى الجرأة على استخدامه . . . أما الوصاية الدينية ، فهى أرزل الوصايات وأشدها ضرراً »(٢) .

---

(١) Montesquieu , The Spirit of The Laws, tr. Thomas Nugent , New York : Colonial Press, 1900 , Bk I, Section 1, صفحة ٢

(٢) Immanuel Kant, Foundations of The Motaphysics of Monals and What is Enlightenment ? tr. Lswis White Beck .
Chicago : Universify of Chicago Press, 1950 .
صفحة ٢٨٦ — ٢٩١

http://kotob.has.it

وسرت هذه العقيدة فى الفكر الأوروبى سريان اللهب فى القش ، فاعتبر من آمن بها كل إنسان آخر متساوياً معه فى العقلانية . فبما أن الانسان إنسان . وله عقل ، فهو جدير باستخدامه . وإذا استخدمه ، وفعل ذلك بأمانة وأصالة ومسؤولية ، توصل إلى نفس مايتوصل إليه كل إنسان آخر . إذاً ، فلا فرق بين البشر ، وكل ما اصطنع من تفرقة بينهم يجب أن يزول سريعاً . وسرعان ماطبق هذا الحكم على جميع مرافق الحياة . وسارع العقلانيون المتحررون من نير الكنيسة وتعاليمها إلى تطبيق المبدأ المذكور فى موضوع الدين . فهم اعتبروا الفرق بين الدينين المسيحى واليهودى غير ذى بال فى الحياة المدنية . وقالوا : إذا كانت القرارات السياسية يجب أن يتخذها المواطنون باستخدام عقولهم وبتعقلهم للأمور ، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة ؟ وإذا كانت القرارات الاقتصادية يجب أن يتخذها المواطن حسب ماتمليه مصلحته الشخصية ، وذلك باستخدامه عقله وبتعقله للأمور الاقتصادية ، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة ؟ وأخيراً ، إذا كان الاختلاط الاجتماعى بين الناس يقوم على تمتعهم بموهبة العقل ويستهدف تهذيب هذه الموهبة وإعلامها وتغوير إدراكها وتفهمها للأمور ، فما يهم أن يتكلم ويتحادث ويتجادل ذوو الأديان المختلفة مع بعضهم بعضاً ؟ وهكذا ، تداخل اليهود فى المجتمع المسيحى بعد أن انقطعوا عنه طوال القرون(١) .

---

(١) Salo W. Baron, A Social and Religious History of the Jews: New York: Coumbia University Press, 1937 صفحة ١٤٢

Louis Finkelstein, ed., The Jews, Their History, Culture and Religion. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1949, I, صفحة ٢٦١ وما يليها بالأخص ٢٦٤ ـ ٢٦٦

http://kotob.has.it

أما فى أميركا ، فالأمر لم يحتج إلى مثل هذه الحجج. يقول بارون ربلاو ، مؤرخا اليهود فى أميركا ، بأنه نظراً إلى أن وثيقة الاستقلال الأميركى ، وتصريح جيفرسون حول تأسيس الحرية الدينية فى ولاية فرجينيا ، ودستور الولايات المتحدة ، وقانون حقوق الانسان — وهى قواعد الكيان الأميركى السياسى كله ، تعبر عن وجهة نظر التنوير فى جميع مرافق الحياة ، فإن اليهود لم يكونوا يحتاجون إلى تحرير فى أميركا . فهم دخلوها أحراراً واستطاعوا الانخراط فى جميع أسلاكها الادارية والدبلوماسية والعسكرية. وجد اليهود بين موظفى الرئيس واشنجطن ، وبين أول فوج طلبة دخل كلية أميركا العسكرية . عندما أقيم المهرجان الخاص بإبرام الدستور فى فيلادلفيا سنة ١٧٨٩ ، وضعت مائدة خاصة للأطعمة والمرطبات المحضرة على الطريقة اليهودية ، أو الكوشير(١) .

ومع هذا فإن دخول اليهود فى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية الأوروبية جاء منقطعاً وبطيئاً إلى أن قامت الثورة الافرنسية وتبعها من تبعها من حملات وفتوحات لنابليون . عندئذ انهدم الجدار الفاصل تماماً وراح اليهود يمركزون أنفسهم فى شتى المجالات يؤثرون فيها ويتأثرون بها .

٣ — الرد اليهودى الأول : موسى مندلسون :

كان موسى مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦) أعظم من تأثروا بأيديولوجية عصره ، أى بالتفتح والعقلانية ، وكان صديقا لاثنين من كبار رجالات

---

(١) Joseph L. Blau and Salo W. Baron, The Jews of The United States, 1790 - 1840 : A Documentary History. New York: Columbia University Press, 1964. I صفحة ٦٠ ، ٢٤٨ — ٢٤٩

http://kotob.has.it

العصر ، وهما جوتهولد ليسنج وعمانويل كانت (١) . ولد فى الجيتو فى مدينة دساو فى ألمانيا ونشأ طالبا مجتهداً شديد الفطنة والذكاء . درس التلمود على يد الحاخام داود فرنكل وأتمه فى الرابعة عشر من عمره . ثم ذهب إلى برلين ودرس فى معاهدها باللغات الأوربية ، ومهد ليسنج لصديقه مندلسون الدخول فى الصالونات الأدبية . وما أن جاءت سنة ١٧٦٣ إلا وكانت له سمعة أدبية كبيرة نال إزاءها جائزة أكاديمية العلوم البروسية متفوقاً حتى على الفيلسوف كانت أحد المتسابقين معه . وأنعمت عليه الحكومة البروسية بلقب « Schutzjude » أى يهودى ذى حماية خاصة ، وكان أيضاً شديد التمسك بتراثه اليهودى والحرص عليه . وأول ما تطرق لذهنه أنه طالما أنه هو استطاع أن يحيا التراثين ويعرفهما حق المعرفة ، فلم لا يقدم اليهود على درس مواضيع هذا العصر والتقدم بأنفسهم ودينهم إلى الأمام ؟ فإلى هذا الهدف كرس مندلسون جهوده . وكان أول ماقام به ترجمة التلمود للالمانية ، كى يتسنى لليهود الذين تعلموا الألمانية فأحبوها ولم يتعلموا العبرية التعرف على تراثهم وقانون حياتهم من جهة ، وللالمان التعرف على الدين اليهودى واحترامه . ويبدوا أن مندلسون وعى دوره فى التاريخ كدور الوسيط بين ثقافتين : الألمانية الحديثة واليهودية التلمودية .

وأسس مندلسون مجلة هاميعاسف (المجمع) لنقل الثقافة الألمانية إلى اليهود باللغة العبرية مستهدفاً تثقيف المحافظين والمسنين من شعبه الذين

---

(١) انظر تفاصيل حياة مندلسون فى كتاب :

Hermann Walter Moses Mendelssohn, Critic and Philosopher, New York : Bloch, 1930.

ثم فى أية دائرة معارف يهودية تحت اسمه

http://kotob.has.it

لم يتعلموا الألمانية . وكذلك أسس « المدرسة اليهودية الحرة » سنة ١٨٧١ فى برلين للقيام بنفس الهدف ، وأقام التدريس فيها فى مواضيع عصرية وتلمودية . وكان دائماً يرى نفسه كسفير غير رسمى من اليهود إلى الأمة الألمانية .

أما تأثر مندلسون بالفكر الغربى الحديث فكان عميقاً بعيد المدى ، بل أنه سابق لذلك الفكر فى أمر علاقة الدين بالدولة . ففى كتابه المعنون « أورشليم » والمنشور سنة ١٧٨٣ ، قدم رأيه فى هذه القضية مدعما بحجج قوية مبنية على منطق نفعى . فهو يقول أنه إذا أريد للمواطن من موظف أو سياسى أو تاجر أو زارع أو عامل أو جندى، أن يحسن القيام بالواجب القومى المنوط به ، ويجب عليه أن لاينظر فى أمر الدين ، بل أن ينحيه عن المجالات العملية . وإذا أريد أن يتمتع المواطن بحرية الفكر يعمل بها خلاقا فعالا ومفجراً لطاقاته ، وجب أن ينحى الدين عن المجالات النظرية أيضاً . وفى النصف الثانى من كتابه « أورشليم » ، تصور مندلسون الدين اليهودى كشريعة فقط ، لا كعقيدة وحيية . فالمبادىء والقصص التاريخية فى التوراة ليست فى رأيه من العقيدة اليهودية . فقط الشريعة ، أى القانون الخاص باليهود جدير بالايمان . والشريعة لا تقول لليهودى ما يجب أن يؤمن به بل ما يجب عليه فعله (١) وبديهى أن مندلسون أراد بهذا الموقف أن يحرر المفكر من

---

(١) يقول مندلسون : « أنا لا أؤمن بأية مبادىء سوى التى يتفهمها العقل الانسانى والتى يمكن تبيانها وبرهنتها للفكر الانسانى . لقد أخطأ من ظن أنى بقولى هذا خرجت على دين الأجداد . يترتب مثل هذا الظن على ادراك خاطىء للدين اليهودى . بل الامر على عكس ذلك . فهذا أمر لازم للدين اليهودى وهو يختلف بذلك تمام الاختلاف عن الدين المسيحى . وباختصار يمكننا القول بأن الدين اليهودى لا يعترف بأية عقيدة من وحى السماء بالمعنى المفهوم عند المسيحيين . فلليهود شريعة الهية ، قوانين وأوامر ، وسنن ومبادىء أخلاق وسلوك ترمى إلى تحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة . وهذه كلها أوحيت إليهم من قبل موسى بطريقة عجيبة، ما ورائية . ولكنها ليست عقائد ، ولا حقائق ترمى إلى الخلاص ، ولا مبادىء عامة قابلة =

http://kotob.has.it

قيوده الدينية وأن يبقى السلوك مقيدا بهذه القيود . فالفكر يجب أن يعمل بنفسه ويتقبل ما يشاء دون اكراه . لذلك ، لاعقيدة بالمعنى المسيحى ولا معجزات . أما السلوك فلا بد له من التقيد بشريعة اليهود كما تلقاها موسى وبلورها الحاخامون فى التلمود ، إلا أن مندلسون آمن بالبعث لكن على أساس عقلى شبيه بتفكير عمانوئيل كانت فى هذا المضمار .

٤ — تحرير اليهود :

كانت بداية التحرير العملى فى الميادين السياسية والمدنية ما أبرمه يوسف الثانى ، امبراطور النمسا ، من قوانين واتخذه من إجراءات تجاه يهود بلاده . إذ نقض الضرائب الخاصة المفروضة على اليهود ، وأعفاهم من لبس العلامة الصفراء المميزة . وأعلن أن على اليهود التجاوب مع هذه الإجراءات الجديدة . فإذا هم انصهروا فى جسم الأمة النمساوية ، أكمل الامبراطور تحريرهم ورفع عنهم كل نير . وطلب الأمبراطور إلى اليهود أن يتخذوا أسماء عائلية وأن يكفوا عن تسمية أنفسهم بأسماء آبائهم . إلا أن اليهود لم يستجيبوا لهذه الإجراءات . فاستغلوها لصالحهم وتداخلوا فى حياة البلاد الثقافية والاقتصادية والسياسية وتمركزوا فيها بدون أن يغيروا أسماؤهم ودون أن يعتبروا أنفسهم مواطنين نمساويين بكل معنى الكلمة . بل بقوا يترفعون عن المسيحيين ، يدخلون بيوتهم ومدارسهم وتجاراتهم ولا يبيحون لهم دخول بيوت اليهود ومدارسهم وتجاراتهم . فأخذت الحكومة

= للبرهان العقلى فالحقائق والمبادىء العامة لم يوحى بها الينا فحسب بل لجميع البشر، وهى من النوع المستمد من الله ، والطبيعة والتاريخ ، وليس بالكلمة أو الكتاب » . كما جاء فى كتاب :

Moses Mendelsohn «Jerusalem», Part II Gesammelte Schriften. Leipzig, 1843, III, صفحة ٣١٩ وما يليها

http://kotob.has.it

تطلق عليهم أسماء جديدة دون اعتبار لرغباتهم ولا تعترف لهم بغير هذه الأسماء . ومن هنا جاءت معظم أسماء اليهود الألمانية فى أوروبا وأميركا(١)

إلا أن التحرير على نطاق واسع لم يتم إلا بعد الثورة الفرنسية . وقد ابتدأ فى فرنسا عندما قررت الجمعية الوطنية الفرنسية فى ١٧٩١/٩/٢٧ اعتبار اليهود المقيمين فى فرنسا مواطنين لهم كل حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته . اعتمد هذا القرار إلى وثيقة حقوق الإنسان والمواطن التى تقبلها الشعب الفرنسى أثر الثورة ، والتى قالت : أولا : ان الإنسان خلق حرا ومتساويا مع الناس جميعا فى الحقوق . فالتمييز المدنى يجب أن لا يقوم إلا على أساس الخدمة العامة التى يقدمها المواطن للوطن ، ثانيا : أن الهدف الأخير لجميع التجمعات السياسية هو المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية كاملة ، ألا وهى الحرية والملكية الفردية والأمن ومقاومة الظلم ... ثالثا : لا يعترض رجل بسبب آرائه ، حتى ولا بسبب آرائه الدينية ومعتقداته ، بشرط أن لا يؤدى اعتناقه بها إلى الاخلال بالأمن ونظام القانون (٢) .

وجاءت إجراءات تحرير اليهود تترى بعد كل فتح من فتوحات الجيش الفرنسى . ففى سنة ١٧٩٦ ، بحث البرلمان الهولندى أمر تحرير اليهود تحت ضغط من السفير الفرنسى . وما أن جاءت السنة التالية حتى انتخب اليهود لعضوية البرلمان . وفى نفس العام تحرر اليهود فى ايطاليا . إلا أنه تأخر فى

---

(١) Cecil Poth, A Short History of The Jewish People. London : East & West Library, 1948, صفحة ٣٣٩ وما يليها

(٢) انظر تفاصيل البحث فى كتاب :

Georges Lefebure, The Goming of The French Revolution, tr. R. R. Palmer. Princeton : Princeton University Press, 1947.

صفحة ١٦٩ — ١٨١ و ٢٢١ — ٢٢٣ .

http://kotob.has.it

بروسيا إلى سنة ١٨١٢ ، وبعد هزيمة فرنسا فى روسيا وانحلال الأمبراطورية النابليونية ، عادت الدول إلى اقصاء اليهود عن مكاسبهم السياسية والمدنية ، ما عدا فرنسا وهولندا . ولكن سرعان ما أبرمت قوانين جديدة أعادت لليهود حريتهم . ففى سنة ١٨٧٠ ، لم يبق فى أوروبا كلها يهودى واحد غير محرر .

٥ — مشكلة التحرير الكبرى :

وكان سهلا على اليهودى قبل التحرر أن يعيش كيهودى وأن يقيم التوراة والتلمود فى حياته وفكره ، كما رأينا من قبل . أما الآن وقد تحرر ، وأصبح لا يهوديا فحسب مقيما كأجنبى فى بلد غريب ، بل يهودى ألمانى ويهودى فرنسى ويهودى هولندى ، تعثر الطريق أمامه وشق . فما معنى أن يكون يهوديا يدين للقانون من جهة وألمانيا أو فرنسيا يدين بالولاء لوطن وحكومة ودولة وثقافة وحضارة مغايرة لما عرفه فى توراته وتلموده ؟ ولم تخل حياة اليهودى فى أوروبا من مشاكل ألزمته طرح هذا السؤال على نفسه فى كل صباح . وهذه هى المشكلة الأولى .

أما المشكلة الثانية ، فهى تتعلق بعلمانية الدول الأوربية المحررة لليهود . علينا أن نذكر أن تحرير اليهود لم يأت إلا نتيجة لنمو العلمانية فى التنظيم السياسى والاجتماعى . إذ أن اقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد أدى إلى اعتبار المنفعة العامة والإنتاج والخبرة والأهلية كأساس لجميع المعاملات والتنظيمات . ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية . وتماسك أفراد الأمة الواحدة ، بما فيهم اليهود ، لا على أساس الدين ، بل على أساس وجودهم فى الوطن ، وعمومية المنفعة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بينهم . فالجغرافيا والاقتصاد حلتا محل الدين فى تكوين

http://kotob.has.it

الدولة . إلا أن هذه العلمانية نظرية نبعت من الخبرة المسيحية، لا من الخبرة اليهودية . فالدين اليهودى لا يفهم أن يكون العمل الاقتصادى — ككسب العيش مثلا — عملا لا يمسه الدين بصلة . وهو لا يفهم أيضاً بالنظر لعنصريته وانفراديته وجماعيته أن يكون العمل السياسى — كحفظ الأمن والخدمات العامة مثلا — عملا لا يمسه الدين . كيف ذلك والدين اليهودى كله يقوم على انفرادية اليهود عن البشر أجمع ؟ أما المسيحى الأوروبى ، فقد قسم حياته إلى دوائر وجعل بينها سدودا تمنع أى اتصال . وتجرى الحياة فى كل من هذه الدوائر بموجب قوانين خاصة بها لا علاقة البتة للدائرة الواحدة بما يجرى فى الدوائر الأخرى. فالعائلة والأخلاق الشخصية والدين والاقتصاد والسياسة والاجتماع ، كل واحدة منها تؤلف ملكوتا مستقلا . فالويل كل الويل إذا سمح الغربى لمبادىء الدين أن تتعدى حدودها للتأثير فى الاقتصاد . ويالها من مصيبة إذا تعدت مبادىء الدائرة الاقتصادية حدودها للتأثير فى الدين . والواقع ليست العلمانية سوى الاعتراف بأن ليس هنا لك مبدأ عام يشمل حياة الانسان بكاملها كما هو الحال فى النظرة الدينية ، فأصبح لكل دائرة من دوائر الحياة مبدأه الخاص .

ولابد أن تؤدى العلمانية عاجلا أم آجلا إلى إقصاء الدين بالمرة أو إحالته إلى عالم الخرافات البالية والتاريخ القديم . فالإنسان الذى يرى نفسه متفقاً مع جميع أبناء أمته فى جميع الدوائر ماعدا واحدة ، لابد له من أن يميل مع الوقت إلى التغلب على هذا التمييز ليحيه . فما هو مكان هذه الدوائر الدينية من الحياة ، إذا كانت فاعلية مبادئها مقصورة على التعبد الطقسى وبعيدة عن مجالات الحياة الأخرى ؟

صحيح أن حركة التحرير جلبت منافع كبيرة لأفراد اليهود ولجماعتهم بعد أن مكنتهم من الدخول فى حومات الحياة بل حتى من السيطرة عليها فى المجتمعات الغربية . أما الأمة اليهودية كأمة ، فان التحامها وتلاصقها

http://kotob.has.it

بعضها أحدث التحرر فيه تصدع كبير . فبينما كان اليهودى لا كيان له سوى كعضو فى الأمة اليهودية وكمحقق لملزمات الدين اليهودى فى جميع مجالات الحياة ، أصبح معظم كيانه بعد التحرر فى عضويته فى الأمة القومية التى ينتمى اليها حيث ملزمات الدين اليهودى وقانونه لا فاعلية لها ولا أهمية . فقد أذاب التحرير الأمة اليهودية كأمة وأذابت العلمانية الجديدة علاقة الدين بالحياة . فالسؤال الذى يجابه اليهودى فى العصر الحديث هو : كيف لليهودى الاحتفاظ بمكاسب التحرير دون التطويح بالأمة اليهودية والدين اليهودى ؟ أو كيف لليهودى المتحرر أن يتفهم ولاءه لأمته ولتراثه القانونى والروحى ؟

هذا هو ما يحاول مفكرو اليهود الاجابة عنه فى العصر الحديث ، وهو السؤال الذى انقسم اليهود فى الاجابة عنه إلى ملل ثلاث : الملة الاصلاحية ، والملة الأرثوذكسية ، والملة المحافظة . حتى حركة الصهيونية السياسية التى شملت أتباع الملل الثلاثة يعتبرها بعض المفكرين اليهود محاولة أخرى للجواب عن نفس السؤال . ولعلها كذلك .

قال مندلسون ، مواجها القضية بعينها : أيها اليهودى . وافق دستور الدولة واعمل بجميع عادات وقوانين البلد الذى تحل فيه . ولكن فى ذات الوقت ، كن أمينا على دين آبائك وأجدادك (١). هذا سهل . أما تحقيقه فصعب جداً . ويقول يوسف بلاو ، مؤرخ الدين اليهودى فى العصر الحديث ، أن جميع ما كتبه اليهود فى جميع الملل والمدارس خلال هذا العصر يمكن اعتباره هوامش على هذه الملاحظة البسيطة لموسى مندلسون(٢) وسنرى تفاصيل ذلك فيما يتبع .

---

(١) والكتاب السابق ذكره Moses Mendelssohn ، صفحة ٣٥٨ ومايليها من الجزء الثالث .

(٢) الكتاب السابق ذكره ، Joseph Blau ، صفحة ٢٧ .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

الملة الاصلاحية

١ ــ نشأة الملة الإصلاحية :

من أغرب طبائع البشر أنهم لا يمتثلون لا كراه ولكنهم يمتثلون اليوم طوعا لما قاوموه بالأمس وقد فرض عليهم كرها . كان المسيحيون يكرهون اليهود فى القرون الوسطى على التجمع ثلاث مرات فى السنة كى يبشر فيهم أحد قساوسة الكنيسة(١) . فلم يجدى هذا الإكراه شيئاً . أما وقد حضر بعض اليهود والربابنة طوعا وعن رغبة منهم الطقوس التعبدية المسيحية فى الكنائس ، خرجوا منها غاضبين على طقوسهم الدينية وغير سعيدين بها(٢) . كانت الصلاة اليهودية طويلة جدا إذا أضيفت إلى تلاوة التوراة قراءة قصائد تعبدية لا أول لها ولا آخر ، تسمى « بيوتيم » . وكان المنفى قد حرمهم استعمال أية آلة موسيقية فى الكنيس اليهودى وأصبح تحريم الموسيقى أمر لا يقبل الجدل . ومع هذا فقد مر بنا أن سليمان دى روسى أضاف أرغنا وكورال أطفال ونساء إلى كنيس مانتوا بايطاليا مقلداً بذلك الكنيسة المسيحية .

والحق ، أنه منذ أن ابتدأ اليهود يتعرفون على الطقوس الدينية المسيحية ، أصيبوا بشعور ضعة طقوسهم اليهودية إذا ما قورنت بالأولى . ولم يعودوا يتذوقون قراءة القوانين اليهودية وشروحها الطويلة المملة . وبما أن اليهود

---

(١) الكتاب السابق ذكره Israel Abrahams ، صفحة ٤١٨ .

(٢) الكتاب السابق ذكره Cecil Roth ، صفحة ٣٧٥ .

http://kotob.has.it

أقبلوا على تعلم اللغات القومية فقد نسوا العبرية وأصبحوا لا يفقهونها وبهذا أصبحت الطقوس اليهودية سلسلة طويلة من التمتمات غير المفهومة(١) . وكذلك ، لم يكن تدريس اللغة العبرية فى المدارس اليهودية ليؤهل الناس لتفهم ما يقال فى صلاتهم . وذلك أن التعليم اللغوى انحط لدرجة أنه لم يكن يتعدى حفظ بضعة مقتطفات من التوراة غيبا(٢) . ولذلك وجه مندلسون اهتمامه إلى تدريس اللغة العبرية فى حملته لإصلاح شأن اليهود . فقد كان راشده الأول جعل اليهود يفهمون دينهم ويساهمون فى طقوس الكنيسة بشكل فعال . وكما نذكر ، كان مندلسون شديد التمسك بالقوانين والطقوس . فلا غرو أنه أراد تغيير المصلين، لا الصلاة(٣) . إلا أن أتباعه لم يولوا التراث اليهودى مثل هذا الولاء . لذلك رأوا اصلاح الدين نفسه . وأول أتباع مندلسون الذين طالبوا بتغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية داود فريد لاندر (١٧٥٦ — ١٨٣٤) ، إذ قال : أصبحت صلوات اليهود على مرور الزمن أسوأ فأسوأ . فالأفكار التعبدية اليهودية أصبحت

---

(١) يقول صمويل بيبيس فى مذكراته يصف احتفالا دينيا فى كنيس اليهود السفارديم فى لندن : « . . . كان طقسهم الدينى وتعبدهم كله تمتمة وغناء بالعبرية بينما يحمل التوراة عدد من الرجال يجوبون بها القاعة ذهابا وايابا . . . ولكن يا الهى ! يالفوضى ، ياللضحك ياللهزار ، وبالعدم الانتباه الذى يعترى المصلين اليهود أثناء صلاتهم . وكانت صلاتهم كلها وتعبدهم فوضى لا أول له ولا آخر . حقا ، انهم يشبهون الرعاع ، ولا مثيل لهم بين الناس الذين يعرفون الاله الحق . . . » .

Everybody's Pepys : The Diary of Samuel Pepys 1660 - 1669, ed E. H. Shepard. New York : Harcourt, Brace & Co., 1926,

صفحة ٢٠٩ .

(٢) David Philipson, The Reform Movement in Judaism. New York : Macmillon, 1907. صحيفة ٢٣ وما يليها

(٣) الكتاب السابق الذكر Hermann Walther ، صفحة ١٤٦ — ١٤٨ .

http://kotob.has.it

ملتبسة على الناس بما اعتراها من التصوف ومبادىء المقابلا المناهضة لروح الدين اليهودى الحقيقية . وكذلك لغة الصلوات فهى أصبحت مؤذية للأذن وحافلة بالأخطاء اللغوية . من حسن الحظ أن الأكثرية الكبرى من اليهود لا يفهمون منها شيئاً . ولو فهموا لتأثروا بها إلى الأسوأ(١) .

وكان أول من استعمل لغة غير العبرية فى الطقوس الدينية ، كنيس عادات يشورون بامستردام بهولندا سنة ١٧٩٦ . إلا أن الاصلاحات الأخرى لم يؤخذ بها فى ذلك العهد . لم يكن اصلاح الطقوس نصف المشكلات أو ربعها بالرغم من انصباب الاهتمام كله عليها . والواقع أن اليهود فى ذلك الزمن لم يكونوا مستعدين لخوض بحث عن هذا القبيل . إذ كان الشعب وحاخاموه يجهلون تاريخ التعبد اليهودى . فكيف لهم اصلاحه بشكل جدى ؟ وعلى كل ، أخذ اليهود ، بعد أن تفرنجوا ، يصبون جم غضبهم على العناصر الشرقية فى الطقوس ويطالبون بحذفها كى تصبح أكثر تشبها بالطقوس البروتستانطية المسيحية . لكن المعارضة كانت قوية ومسموعة . لذلك تأخر قيام حركة الإصلاح بتأسيس الكنائس واعتبار نفسها ملة .

وكان أول ماقامت به الحركة من إصلاحات فى الطقوس ، ما أجراه الحاخام إسرائيل جاكوبسن فى مدينة زيزن فى ألمانيا حيث أسس مدرسة الصبيان اليهود رتب فيها الطقوس الدينية كما كان يهواها لا كما تعلمها من الأجداد(٢) . وكان تدشين المدرسة سنة ١٨١٠ بمثابة بداية الملة

---

(١) W. Gumther Plaut, The Rise of Reform Judaism New York : World Uuion for Progressive Judaism Ltd., صفحة ١١
David Friedlander, Sendschreiben an ... Probst Teller, Berlin 1799 صفحة ٦١

(٢) الكتاب السابق ذكره David Philipson صفحة ١٩ـ٢٢ .

http://kotob.has.it

الإصلاحية(١) ، وإن كانت بدائية . أما تدشين المعبد الإصلاحى فى هامبورج سنة ١٨١٨ ، فهو حقاً موعد دخول الحركة الإصلاحية فى التاريخ كحركة دينية كاملة ، لها معبدها وتابعوها وقوامها القانونى الخاص بها . وكان إدوارد كلاى (١٧٨٩ - ١٨٦٧) وكارل سيجفريد جونسبرج (١٧٨٨ - ١٨٦٠) قد أنتجا سنة ١٨١٧ أول كتاب صلاة باللغة الألمانية فبمناسبة افتتاح معبد هامبورج نقح هذا الكتاب وأعيد نشره معياراً للصلاة حسب الملة الإصلاحية(٢) . وقد وضع فى هذا المعبد أرغن يعزف أثناء الطقس والكورال يغنى .

٢ — الفكر الاصلاحى :

ان المشكلة الفكرية الكبرى التى تعرض لها الفكر الدينى اليهودى والمسيحى فى القرن التاسع عشر هى ما تعرض له العهد القديم من الكتاب المقدس للنقد . فمنذ أن حل شامبوليون رموز حجر روزيتا وأخذت الحفريات تنقب عن آثار الأقدمين سواء ، فى مصر أو فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ، أخذت علوم الشرق القديم، من تاريخ وجغرافيا وأدب ولغة ودين وميثولوجيا تتدفق على الأوساط العلمية الغربية . وقد أسفرت هذه العلوم عن حقائق كثيرة ثبت بعضها ما جاء فى الكتاب المقدس ونقض الكثير منه . وزاد الطين بلة نشأة العقلانية وسيطرة فلسفتها على

---

(١) الكتاب السابق ذكره W. G. Plaut صفحة ٢٩ أو مجلة سولاميت السنة الثالثة (١٨١٠) العدد ١ ، صفحة ٢٩٨ .

(٢) الكتاب السابق ذكره Philipson ، صفحة ٤٢ وما يليها وكذلك فى الكتاب السابق ذكره Plaut ، صفحة ٢٩ — ٣٣ .

http://kotob.has.it

تفكير العصر كله ، مما أدى إلى إضعاف الادعاء الدينى بأن الكتاب المقدس وحي يجب تصديقه وإن تخالف مع العقل . هذا وان العلوم الطبيعية كانت قد أجرت خلال القرنين السابقين تجارب كثيرة ناقضت الكتاب المقدس فى مواضع عديدة .

لهذه الأسباب ، أصبح الكتاب المقدس مشكلة شائكة لكل من يهمه أمر الدين ، سواء أكان من المسيحيين أو اليهود . فما معنى أن يكون كتاب الدين الأول الذى كان يعد وحيا نزل من السماء وخطه موسى بيده ، مليئاً بالأخطاء ؟ الحسابية منها والجغرافية والتاريخية والعلمية ؟ ما معنى الوحى إذ تثبت أن الكتاب المقدس جاء من عصور مختلفة ومن أقلام شتى تناقض بعضها بعضا ؟ وما معنى الوحى إذا ثبت أن فى الكتاب المقدس أحكاماً وسنناً وقصصاً على جانب عظيم من المهانة والرذيلة وسوء الأخلاق التى لا يتقبلها عاقل تقى ؟

سعيا وراء تخليص الكتاب المقدس من نقد مبرم ورفض تام بل وسقوط محقق ، راح علماء الدين المسيحى ينتحلون النظرية تلو النظرية فى جميع الحقول محاولين تفسير وتأويل نصوص الكتاب المقدس . فعلماء التاريخ القديم وعلماء الآثار وعلماء اللغة كانوا يشنون على الكتاب المقدس حملات نقدية عنيفة كانت محط ونظر وفكر العامة والحكومة فى ألمانيا وانتهى الأمر بعلماء العهد القديم إلى تغيير معنى الوحى . كان الوحى كلمات معبرة عن أفكار أو حقائق يتلقاها النبي مباشرة ويعطيها للتاريخ . أما الآن فأصبح الوحى أفعال يقوم بها الفرد أو الشعب المختار فتؤدى إلى أفعال أخرى فى التاريخ نهايتها وذروتها مجيء المسيح وصلبه وفتله فداية للبشر . بهذا الحل ، استطاع العلماء المسيحيون تقبل كل ما جاء فى العهد القديم على علاته ، مدعين أنه مجرد سجل ، فى بعضه شيء من الالهام فقط ، للأفعال

http://kotob.has.it

الوحيية ، أى للتاريخ اليهودى برمته، وهو سلسلة الأفعال الفردية والجماعية التى أدت فى نهاية الأمر إلى فدية المسيح .

هذا هو حل مسيحى . إلا أن اليهود لم يكونوا يستطيعون رفضه كله ، وإن كان لابد من رفض المسيح وقصة فدائه . ولا بد لهم من الإبقاء على النقد وهو حصيلة العلوم المتعلقة بالشرق القديم . ولكن كيف لهم التوفيق بين النزعة العلمية النقدية وبين ولائهم للتوراه والقانون الذى ورثوه .

قام فى برلين سنة ١٨١٩ حوالى خمسين يهوديا مثقفين يدعون إلى أن اليهودية وتاريخها وأدبها وتراثها الثقافى وأوضاعها الحالية يمكن أن تدرس دراسة موضوعية ، نقدية ، علمية بدون التعمد إلى الهدم والنقض ، كما تدرس فى مناهج الجامعات العلمية . سموا جمعيتهم .

Verein fur Kultur und Wissenchaft des Juden thums

ونجحوا بالفعل فى تأسيس مجلة .

Zeitschrift fur dis Wissen shaft Judenthums سنة ١٨١٢ وفى تشجيع عدد من الدراسات ، منها دراسات اسحق ماركوس يوست (١٧٩٣ — ١٨٦٠) وليوبولد تسونتس (١٧٩٤ — ١٨٨٦) ، وكان الأخير حاخام الكنيس الاصلاحى فى برلين .

وفى سنة ١٨١٧، أغلقت الحكومة البروسية هذا الكنيس الاصلاحى تحت ضغط المحافظين اليهود . واستند أمر الاغلاق إلى أن اليهودية دين مقفل منذ مجىء المسيح وأن ليس له حق التطور وتجديد نفسه . وراح تسونتس أثر هذا التصريح يدرس ويبحث راجيا الوصول إلى ما يثبت بطريقة علمية أن الدين اليهودى أصالة وأنه سبق أن جدد نفسه وطقوسه بالماضى وجارى العصور . ووضع هذه الأبحاث فى كتاب عنوانه .

http://kotob.has.it

Die Goitesdienstlichen Vortrage der Juden, historisch entwickelt (أى التطور التاريخى للخطبة والوعظ فى الدين اليهودى) نشره سنة ١٨٣٢ . ولا شك أن هذا البحث دعم الموقف الاصلاحى .

وكذلك ألف سليمان لودفيج شتاينهايم (١٧٩٠ — ١٨٦٦) كتابه Die Nffenbarung nach dem Lehr Begriff der Synagoge (أى الوحى حسب تعاليم الكنيس اليهودى) سنة ١٨٣٥ ، مستندا على فلسفة كانت الحدسية لدعم الايمان بالشرائع التلمودية ورادا على النظرية المسيحية للوحى . وأغرب ما جاء به هذا الحاخام العالم من تجديد هو أن الوحى — وهو كلمات يوحى بها من على — لم يأت كله دفعة واحدة ، بل على دفعات . جاء بعضها فى العصور الغابرة وسجل فى الكتاب المقدس ، مخلوطا بالكثير مما هو ليس بوحى . ولهذا ، لا يمكن التمييز بين الوحى الصحيح وما لفق بأنه وحى سوى بالايمان . أى بأتخاذ مايؤمن اليهودى أنه وحى حسب ايمانه الخاص . وأن ليس ما يثبت وجود هذا الايمان عند الفرد سوى قيامه بما يمليه ايمانه من سلوك وتطبع أخلاقى(١) .

واستفادت الحركة الاصلاحية من تفكير شتاينهايم :

أولا : أن نظريته تتيح الفرصة لكى يوجد فى هذا العصر ، كى يتبلور الدين من جديد ويجارى الزمن والمكان . وهذا مبدأ يفيد حركة الاصلاح ضد أدعاء أعدائها بأن الوحى جاء وأنتهى أمره فى الكتاب المقدس .

---

(١) راجع المقال عن المؤلف المذكور فى الموسوعة اليهودية ، الجزء ١١ ، صفحة ٥٤٣ وما يليها . وانظر Jacob B. Ague, Modern Philosophies of Judaism : A Study of Recent Jewish Philosophies of Religion. New York: Behrman's Jewish Book House, 1941, صفحة ١١ — ١٦

http://kotob.has.it

ثانيا : أنه طالما أن الوحى اختلط بغير الوحى فى الكتاب المقدس ، فيجوز لليهودى المعاصر أن يختار ما يشاء أتباعه من أحكامه ، وأن لايعارض جيل سابق ما يرتأيه الجيل اللاحق من تغييرات فى الطقوس والأخلاق والعادات .

وجاء بعد ذلك صموئيل هولد هايم (١٨٠٦ — ١٨٦٠) يؤكد أن ما بين شريعة سماوية وما من وحى الهى إلا أنزل لوقته ومكانه فقط . قال : « أن العصر الحاضر يقتضى مبدأ صريحا بينا بأن القانون ، وإن كان الهيا ، له السلطة والحق فقط طالما أن أوضاع الحياة التى جاء لمعالجتها مستمرة . وعندما تتغير هذه الأوضاع ، يجب أن ينسخ القانون حتى وإن كان الله صاحبه ومشرعه . ذلك لأن الله أثبت بدون شك أن باختلاف الأوضاع والشروط التى من أجلها شرع قانونه ، يتوقف العمل بذلك القانون . إذا، فالقوانين الالهية لا تتبع الآن لأنها عاجزة عن أن تفرض نفسها »(١) . وقال أيضاً : « يتكلم التلمود بأيديولوجيا العصر الذى جمع فيه . فصلاحيته مقتصرة على ذلك العصر . أما أنا فأتكلم من وجهة نظر الايديولوجية العليا لهذا العصر . لذلك ، فأنا محق ولى الصلاحية لعصرى »(٢) .

٣ : ابراهام جايجر

ويعتبر ابراهام جايجر (١٨١٠ — ١٨٧٤) أكبر مفكرى الحركة الاصلاحية . وقد بنى نظريته على تفكير اللاهوتى الألمانى فريدريش

---

(١) كذلك فى الكتاب السابق ذكره ليوسف بلاو ، صفحة ٣٧ وهو قول مأخوذ من كتاب فليبسون ، The Reform Movement السابق ذكره ص ١٨٠ .

(٢) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٤٣ ، مأخوذ من كتاب المفكر نفسه S. Holdheim, Das Ceremonialgesetz in Messias--reich, Schwerin, 1845, صفحة ٥٠

http://kotob.has.it

شلايرماخر ، ونحا نحوه بتركيز الدين كله على الشعور ، وعلى التقوى الشخصية ، مستوحيا ما قاله المتصوفون اليهود فى القرون الوسطى من قابالا وحاسيديم . وكان يتوخى جايجر قطع المحافظين فى تقديسهم للطقوس والقوانين التلمودية . إلا أنه هو أيضاً جاء بتجديد غريب فى الدين اليهودى ، إذ قال أن بين الشعور القومى اليهودى والعالمية كأن ضغط تقابلى أدى إلى ارساخ فكرتى « الشعب المختار » و « العالمية » . وأن هذا الضغط أدى فى حركته عبر العصور إلى نسخ فكرة الشعب المختار وتقوية العالمية . وعليه يمكن الآن حذف جميع الاشارات إلى خصوصية الشعب اليهودى من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأدبه . وأكد جايجر أنه إذا تم ذلك الحذف ، فما من شيء يحول دون انصهار اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها . وبالتالى حذفت العبارات المشيرة إلى صهيون وإلى العودة اليها من الطقوس الدينية فى كنيسة فى برلين . أما فكرة المسيح الذى يؤمن اليهود بأنه آت ليعيدهم إلى صهيون ويتملك عليهم هنالك فى دولة سياسية عسكرية تتحكم بالبشر أجمع ، فقد حورها جايجر حتى أصبحت تعنى عصراً مخلصياً للعالم ، يشترك فيه الآدميون فى كل مكان لإحقاق الحق .

سعيا وراء توحيد كلمة وصف المنتمين إلى الحركة الإصلاحية ، دعا جايجر سنة ١٨٣٧ إلى اجتماع عام للربابنة الذين يميلون للاصلاح . وكان رأيه أنه إذا استمر الحاخامون يحذفون من التراث الدين ما يشاؤون بغير حساب ، فالنتيجة الحتمية ستكون تفتت الدين والقضاء عليه . وعقد الاجتماع بالفعل فى فيسبادن فى السنة ذاتها . ومع أن المؤتمر لم يكن ليشرع بل ليشرح ويقترح ويبحث فقط ، لم يؤت آية ثمار تذكر . وعقدت مؤتمرات أخرى لنفس الغرض سنى ١٨٤٤ و ١٨٤٥ و ١٨٤٦ فى مدن ألمانية مختلفة .

http://kotob.has.it

وفى هذه الأثناء ، عين جايجر حاخاما مشتركا فى بريسلاو ، حيث يعمل الحاخام المحافظ جدا سليمان تيكتين ، وفى الحال ، اشتعلت نيران الجدال العنيف بين الحاخامين ، مما دفع جميع الحاخامين الآخرين فى أوروبا إلى اتخاذ موقف المناصر أو المناهض فى القضية . وعلى عكس جايجر ، يقول الحاخام تيكتين : « كل من غير أى أمر أو نهى جاء فى التلمود كافر ، خارج عن الدين اليهودى لا تقبل له شهادة »(١) وتدخلت سلطات اليهود فى مدينة بريسلاو لحسم الخلاف فناشدت حاخامى أوروبا كلها بأن يبعثوا لها أجوبتهم الصريحة عن الأسئلة التالية : « هل التقدم ممكن فى الدين اليهودى أم هل هو مكتوب فيه أن لا تغيير ولا تبديل ؟ هل الكثيرون من أبنائنا الذين يشككون فى صلاحية التشريعات التلمودية لهذا العصر ويرتأون آراء تختلف عما رآه أسلافنا فى القرون السابقة ، هل هم يستحقون « اسم يهودى » ، أم هل يجب اعتبارهم مرتدين أو كفارا ؟ هل اللاهوت اليهودى قابل للدراسة العلمية ، وهل يحتمل الدين البحث الحر ؟ أم هل يجب عدم مس الدين التقليدى مهما ابتعد عن الثقافة المعاصرة أو ناقضها ؟ هل لا يجب بحث هذه الأمور ؟ وهل يحق للحاخام الذى ينشر آراء ايجابية لهذه الأسئلة أن يكون حاخاما ؟ »(٢) .

---

(١) كما فى كتاب فيلبسون السابق ذكره ، صفحة ٧٨ . ألف جايجر كتاباً وضع فيه نظريته عنوانه : Darstellun des Sachverhaltnisses in Seiner hiesigon Rabbinatsangelegenheit .

أى عرض للأوضاع الحاضرة فيما يختص بالربابنة فى هذه الديار .

(٢) كما قبله ، صفحة ٨٤ وما يليها . جمعت الأجوبة التى وصلت فى كتاب نشر بعنوان : Rabbinische Gutachten uber dis Vertraglichkeit der freien Forschung mit dem Rabbineramte .

أى « آراء الربانية فى صلاحية البحث الحر وعلاقته بوظيفة الحاخام » فى برسلاوسنتى ١٨٤١ و١٨٤٣ .

http://kotob.has.it

وأقيمت خلال هذه السنوات مؤتمرات عديدة ، منها ماذكرنا سالفا ، بحثت فيها هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كانت تهم اليهود . منها : ما هى سلطة التلمود بالتحديد ؟ وما هى صلاحيته ؟ هل لمجلس الربابنة سلطة تأويله ؟ هل يجوز لليهود الزواج من المسيحيين وحاخام ابرام عقود نكاح مختلطة ؟ ما هو علاقة الشعب اليهودى كوحدة اثنولوجية بالدين اليهودى ؟ وهل يجوز لليهودى أن يقدم ولاءه للحكومة ؟ ألا يجوز تغيير الطقوس الدينية ، ولو شكليا ؟ هل تجوز الصلاة بغير اللغة العبرية ؟ لا يجوز استعمال الأرغن فى الكنيس ؟ ألا يجب الاعتراض على القسم اليهودى المتبع فى المحاكم (وهو قسم يختلف عن القسم المسيحى) ؟ أيجب تعديل قوانين الزواج والطلاق؟ قوانين الطعام ، والسبت والختان ؟

طبعا كان يجيب الاصلاحيون بالايجاب عن جميع هـــذه الأسئلة ، محـاولين تدعيم موقفهم . وكانت أشـد حاجاتهم اقناع اليهود بأن للربابنة الحق فى بحث هـذه الأمور وتسيير دفة أمور الدين اليهودى كما يقتضى العصر .

٤ — حركة الاصلاح بعد عام ١٨٥٠ :

فى أميركا لم يكن للفكر اليهودى أثر يذكر قبل منتصف القرن الماضى. نعم كان هنالك يهود . إلا أنهم كانوا يدينون للأوساط الأوروبية فى كل ما يتعلق بالفكر والدين . فلم يكن لهم رأى سوى ما يمليه عليهم الربابنة فى أوروبا . لم يكن بينهم عالم يذكر ولا مدارس لتعليم اللاهوت اليهودى وتخريج الحاخامين . بل أن أميركا جذبت حثالة اليهود الأوروبيين فقط . ويقول يوسف بلاو ، أستاذ الدين اليهودى فى جامعة كولومبيا ومؤرخ

http://kotob.has.it

اليهود الأميركان أنه لم يكن رجل يعرف أصول الدين حتى بين الرعية اليهودية الأميركية(١) .

فكلما أشكل عليهم الأمر ، كانوا يكتبون لحاخامي أوروبا وينتظرون ردودهم ليعملوا بموجبها . ومع هذا ، لم يكن هنالك تراث القرون الوسطى يعوق ويناهض حركة اليهود التحريرية أو الاصلاحية . وساعد أيضاً المنهاج العلماني الذي سارت عليه معظم الولايات المتحدة ، إذ لم يكن دستوريا لها التدخل في أمر أية طائفة دينية ، وكانت كل طائفة يحق لها تسجيل نفسها بنفسها بمجرد الطلب . وأول كنيس أميركي تبنى حركة الاصلاح هو كنيس (بيت الوهيم) في مدينة شارلستون بكارولينا الجنوبية. إلا أن المدينة نفسها تقلصت فيما بعد ، وهاجر معظم سكانهم اليهود فلم يعد لهم اهمية تذكر في التطور العام . إلا ان الاصلاحيين في اميركا كانوا كثيري الاقتداء بالنظام الديني المسيحي وشديدي التمثل برجاله وطقوسه .

وأسس عدد من الكنائس الإصلاحية في المدن الأميركية الكبرى قبيل عام ١٨٥٠ . إلا أن حركة الإصلاح الأميركية لم تنتعش إلا بعد تعيين الحاخام اسحق وايز في البانى ، نيويورك . فمنذ أن تسلم مهام منصبه أخذ يحقق إصلاحات واسعة المدى ، منها كوراك مختلط من الرجال والنساء ، ومنها طقس التثبيت الديني ، ووضع المقاعد في الكنيس على الطريقة المسيحية . وفي سنة ١٨٥٠ بالذات ، قام جدال عنيف بين دعاة الاصلاح والمحافظة في نفس الكنيس أعلن ضمها الحاخام وايز بأنه لا يؤمن لا بالبعث الجسدي ولا بمقدم المسيح المنتظر . وعليه ، أرغم قهراً على الخروج من الكنيس وهو يلقى وعظه يوم رأس السنة اليهودية . إلا أنه عين حالا

---

(١) انظر كتابه السابق ذكره ، صفحة ٣٩ .

http://kotob.has.it

حاخاماً فى مدينة سنسناتى حيث أسس قاعدة جديدة لحركة الاصلاح(١).

واستمدت حركة الاصلاح فى أميركا رجالاتها وفكرها من ألمانيا(٢). قال صموئيل آدلر ، حاخام كنيس عمانوئيل الاصلاحى فى نيويورك ، محتذيا حذو الحاخام جايجر الألمانى : « أن أولى الخطى التى يجب أن تتخذ هى تطهير الطقس الدينى من الأكاذيب والخرافات الأخرى التى لم تكن تذكر لولا أنها تقال فى لغة وبطريقة لا يفهمها أحد . ومن هذه الخرافات النحيب والعويل حول الاضطهاد ، وطلب اعادة الطقس القربانى إلى الوجود ، والدعاء بالعودة إلى فلسطين ، والتطلع إلى مسيح شخصى ، والإيمان بالبعث الجسدى . وبالتالى ، يجب حذف كل المبالغات والمغالطات ثم تطهير الطقس الدينى وجعله بيناً ، مفهوماً واضحاً وملهماً وباعثاً للنقوى الصحيحة(٣) » .

واضاف ماكس للينتال ، حاخام كنيس اصلاحى آخر فى سنسناتى ، التفريق بين ما هو زائل وما هو أزلى فى الدين ، مقلداً ليثودور باركر الذى أشار نفس السؤال بخصوص المسيحية . وعلى أثره ، قال داود اينهورن ، حاخام بلتيمور وأجرأ اليهود على الاصلاح ، « أن للقانون الإلهى جسد زائل وروح أزلية . أما الجسد ، فهو معنى كى يكون خادماً للروح ،

---

(١) Israel Knox, Rabbi in America : The Story of Isaac M. Wise . Boston: Little . Brown & Co.,1957
M. B. May , Isaac Mayer Wise, The founder of American Judaism : A. Biography New York : Putnnm, 1916 .

(٢) ذلك أن ربابنة معظم الكنائس الاصلاحية فى أميركا التى تم تأسيسها فى ذلك العهد أتوا من ألمانيا وكانوا تتلمذوا فيها على أساتذة اصلاحيين أوعملوا فى كنائسها الاصلاحية .

(٣) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٤٨٣ .

http://kotob.has.it

ولا بد له من الدفن بمجرد افلات الروح منه . فقط الوصايا العشر هى الروح ، وكل ماعداها جسد زائل(١) . وكذلك ، قال برناردفلسنتال، حاخام شيكاغو الاصلاحى ، « أنهما من قانون أزلى سوى القانون الأخلاقى الذى نقشه الله بأصبعه نقشاً لا يمحى فى طبيعة الانسان الروحية(٢)» وهو يعارض المحافظة على التلمود بهذه الحجة : إذا وجب علينا انكار قوانين التوارة الالهية بالذات عندما يتوقف العمل بها وتخسر فعاليتها ، فكم بالأحرى أن ننكر قوانين التلمود الموضوعة من قبل الربانية فى عصرهم العتيق ؟

٥ — مؤتمر بيتسبورج الاصلاحى سنة ١٨٧٥ :

أسس الحاخام اسحق وايز بمساعدة عدد من زملائه حاخامى الحركة الاصلاحية والحركة المناهضة لها كلية الاتحاد العبرى Hebrew Union College فى مدينة سنسناتى حيث كان يعمل حاخاما . كان ذلك سنة ١٨٧٥ وكان عدد الطلبة المنتمين أربعة . ولم يكن حتى ذلك العهد ، وحتى سنة ١٨٨٣ حين تخرج الفوج الأول من هذه الكلية ، أحد من الحاخامين فى أميركا إلا وقد تخرج فى معهد أوروبى وحصل على الحاخامية خارج امريكا .

لذلك كانت الحاجة ماسة إلى معهد أمريكى يعد الحاخامين ويدربهم للخدمة فى أمريكا . وكانت الرغبة فى تأسيس هذه الكلية وضرورة جمع نفقاتها من اليهود الاصلاحيين أدت إلى تأسيس اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأميركية سنة ١٨٧٣ . وقد أصبح هذا الاتحاد الهيئة الرسمية للملة

---

(١) كما قبله ، ص ٤٨٣ .

(٢) كما قبله ، صفحة ٤٨٤ .

http://kotob.has.it

الاصلاحية . وكذلك ، قام الحاخام وايز بتأسيس مجلس الربابنة الاصلاحيين فى مؤتمر دعا الحاخامين لعقده فى فيلادلفيا سنة ١٨٦٩ . وفى المؤتمر نفسه ، دعا وايز زملاءه لتبنى قرار بالأمور الآتية :

(١) انكار نظرية المسيح المنتظر .

(٢) اعادة تأويل تدمير الدولة اليهودية الثانية على أيدى الرومان واستبدال معناها التقليدى — أن اليهود شردوا فى اقطار العالم كى يحققوا رسالتهم الالهية انفصالا عن البشر بأنهم شردوا ليحققوا تلك الرسالة بين البشر لا انفصالا عنهم .

(٣) انكار الأمل بالعودة للطقس القربانى والكهنوت الهارونى .

(٤) تأويل فكرة « الشعب المختار » بحيث تصبح عالمية المعنى والتطبيق .

(٥) انكار نظرية بعث الجسد .

(٦) التوصية باقامة الصلوات باللغات القومية .

(٧) تعديل قوانين الربابنة المختصة بالزواج والطلاق(١) .

ومع أنه عقدت مؤتمرات عديدة كانت تبحث هذه المبادىء خلالها ، فان انفصال الاصلاحيين التام عن بقية اليهود لم يأت سوى فى سنة ١٨٨٥ حيث عقد مؤتمر فى مدينة بيتسبورج سمى باسمها فيما بعد . وفى هذا المؤتمر ، عرض الحاخام كاوفان كوهلر قائمة مبادىء ليتبناها المؤتمر كدستور نهائى لحركة الاصلاح . ووصف المؤرخ فيليبسون هذه الوثيقة بأنها

---

(١) كما قبلة ، صفحات ٤٨٨ — ٤٩١

http://kotob.has.it

أوضح وأقصر وأول كلمة قيلت فى الملة الاصلاحية . حوت القائمة البنود الثمانية الآتية :

(١) أن الكتاب المقدس هو أعظم وثيقة خلقها الانسان . وينطوى هذا البند عن مبدأين :

الأول : أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله ، بل من صنع الانسان ، له وعليه كل ما لمخلوقات الانسان من روعة وقوة أو ضعف وخطأ ونسبة .

والثانى : أنه أعظم الوثائق المدينية لا أوحدها . أى أن وثائق الأديان الأخرى ليست مرفوضة بتاتاً ، بل هى من نفس النوع كالكتاب المقدس وأن قلت عنه درجة فى الروعة والحسن أو الخطأ والضعف يقول القرار : « أن الكتاب المقدس أعطانا أرفع تصوير لفكرة الاله . وهى التى أنشأها العلماء اليهود وألبسوها المعانى الروحية التى تتفق مع عصورهم المختلفة » .

(٢) الكتاب المقدس « وثيقة سجل فيها الشعب اليهودى تكريس نفسه لتحقيق رسالته ، ككاهن للاله الواحد » . وهذا يعنى تنازل الاصلاحيين تنازلا نهائياً عن فكرة الوحى الكلامى . فقد أدسوا قيمة الكتاب المقدس على قاعدة « أنه أقوى معبر عن المعانى الدينية والأخلاقية » وحاول الحاخام كوهلر إضافة عبارة « وحى إلهى » فى هذا البند ففشل بسبب التباس معنى « الوحى » . وقد قضى هذا البند على أى عداء أو تنكر من قبل اليهود للاكتشافات العلمية التى تمس الكتاب المقدس والتى جاءت بها علوم القرن التاسع عشر .

(٣) لاصلاحية ضرورية لأى شىء فى الكتاب المقدس سوى القانون

http://kotob.has.it

الأخلاق . وبين جميع التشريعات الموسوية وغيرها ، فان يعتبر الاصلاحيون إلا تلك الطقوس والشعائر التى تقدس الحياة . أما التشريعات الباقية والتى لاتلائم فلسفة هذا العصر الحديث ومدنيته ، فهى مرفوضة » .

(٤) لايقام أى وزن للتشريعات اليهودية فى المأكل والمشرب ، أو فى ملبس وطهارة الكهنة .

(٥) « تأول نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الإنسانى العالمى لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعاً » . وينطوى على هذا إنكار نظرية « الشعب اليهودى » . ويجب تعريفهم كأنهم فرقة دينية لا قومية .

(٦) « الدين اليهودى دين تقدمى يسعى دائماً لموافقة مبادئه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل » . ولهذا ، أعلن رائد الملة الاصلاحية وجوب تعاون ملتهم مع الأديان ، وبصورة خاصة مع المدينين الساميين المسيحى والاسلامى .

(٧) مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح ، ينكر المؤتمر المبدأ القائل ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت .

(٨) وأخيرا قرر المؤتمر اكتئاب اليهود الاصلاحيين بالدعوة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية التى ينادى بها العصر الحديث . قال : « عملا بروح التشريع الموسوى (لا بحرفه) .. يعتبر المؤتمر المساهمة فى الواجب الكبير لحل مشاكل العالم الحديث الاجتماعية على ضوء العدالة ، أمراً لازما على جميع الاصلاحيين »(١) .

---

(١) Proceedings of the Pittsburg Rabbinical Conference, Central Couference of American Rabbis صفحة ٧ وما يليها .

http://kotob.has.it

يتبين من هذه المقررات أن الملة الإصلاحية ، التى انفصلت عن بقية اليهود بعد مؤتمر بتسبورج ، شيدت فلسفتها على مبادىء حركة التنوير فى القرن الثامن عشر وحركة التحرير فى القرن التاسع عشر .

٦ — نظم الملة الاصلاحية :

يسكن معظم أعضاء الملة الاصلاحية الولايات المتحدة وكندا . ولهم فروع فى أوروبا الغربية ، إلا أنها ضئيلة العدد والمقدرة . أما فى أمريكا الشمالية فللملة ٧٠٠ كنيس تمثل مثل هذا العدد من المجتمعات يتراوح عدد أعضائها بين المليون ونصف والمليونين . وهنالك ٨٥٠ حاخاماً ينتمون للملة الاصلاحية سنة ١٩٦٥ (١) .

وللملة كلية دينية تخرج له حاخامين ، هى « كلية الاتحاد العبرى » فى سنسناتى . وفى نفس المدينة يوجد أيضا « المعهد اليهودى للدراسات الدينية » يتعلم الاصلاحيون فيه الديانات غير اليهودية .

ترتبط المجتمعات الكنيسة للملة الاصلاحية فى اتحاد عام اسمه : « اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأميركية » بينما يرتبط الحاخامون فى اتحاد « المؤتمر المركزى للحاخامين اليهود » . يقوم هذا الأخير مقام الأخصائى الذى يقدم مادته لاتحاد المجتمعات الكنسية فهو السلطة العليا . فللمجتمع الكنسى الذى يتألف من الرجال والنساء الأعضاء فى الكنيس الواحد والذين أسسوه أو قبلوا فيه فيما بعد الكلمة الأخيرة لا فى تنظيم الأمور

---

(١) Richard F. Steinbriuk, « Reform Judaism » in Benjamin Efron, Currents and Trends in Contemporary Jewish Thought. New York : Ktav Publishing House, Inc. 1965 ، صفحة ٤٤

http://kotob.has.it

الكنيسة فحسب بل فى إقرار ما هو يهودى وما هو يهودى إصلاحى . وهذا النظام الذى يضع السلطة النهائية فى المجتمع الكنسى بدلا من الكنيسة ، أو مجالسها الخاصة ، أو الكتاب المقدس ، أو سلطات أخرى خارجية عن مؤسسى الكنيس وأعضائه ، نظام مقتبس عن نظام الكنائس المسيحية المسمى Congregationalism

يقيم الاصلاحيون السبت مساء الجمعة بدلا من السبت . وليست هذه الشعيرة كلها بدعة . فقد كان اليهود دائما يحتفلون بمقدم السبت مساء الجمعة فى اجتماع قصير يسمونه « أريف شبات » أو عشية السبت . إلا أن الاصلاحيين جعلوا من هذا الاجتماع شعيرة السبت الكبرى . وذلك لأنهم لم يريدوا أن يتقيدوا بعدم مزاولة أعمالهم يوم السبت . ويجب أن لا ننسى أن الاصلاحيين يستعملون البنوك الخشبية الطويلة للجلوس فى الكنيسة باختلاط الجنسين . ويتخلل عبادتهم العزف على الأرغن وغناء الأناشيد من قبل كورال يتألف من الرجال والنساء والصبيان والبنات . ولا يلبس الاصلاحيون البارمولكا أو غطاء الرأس الصغير ولا يلزمون نساءهم بغطاء رؤوسهن أثناء الصلاة . وكذلك فهم لا يلبسون الشال أو « التاليت » على أكتافهم . لكنهم لا يمانعون من يرغب فى الامتثال لهذه التقاليد . إلا أن هؤلاء قلة .

يقيم الاصلاحيون معظم أعياد الرزنامة اليهودية . إلا أنهم يحتفلون « روش هاشناه » « وشافوعوت » فقط فى يومها الأول . وكذلك هم يثبتون البنات بالاضافة إلى البنين بتمكينهم من الاحتفال بختمهن للدراسة اليهودية « بات ميتزفاه » .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الخامس

الملة الأرثوذكسية

١ — بين القديم والجديد

كان معظم اليهود يقطنون أوروبا الشرقية والامبراطورية العثمانية. وكان محورهم فى هذه البلاد لا فى أوروبا الغربية أو أميركا حيث كانوا قلة بالنسبة ليهود شرق أوروبا.

منذ أن جاء التحرير، وبدأ اليهود يشعرون أن العلم والتنظيم اليهودى الذى نشأوا عليه فى الجيتو لم يعد مهما، وأن العلوم العلمانية ووسائل انخراطهم فى صفوف المسيحيين أجدر لهم أن يولوها العناية والاهتمام. ولذلك، ضعفت بينهم علوم التلمود وقل استعمالهم للغة العبرية حتى كانت المشكلة الثقافية الكبرى التى واجهها موسى مندلسون فى ألمانيا إذ اضطر لتعليم اليهود العبرية كى يتفهموا دينهم. أما فى الشرق فلم يكن هنالك تحرير ولم تصب اليهود المساوىء التى انطوت عليها حركة التحرير فى الغرب. كان اليهود فى ألمانيا محرم عليهم استعمال اللغة الالمانية فى عقودهم، ولما تحرروا، هجموا على اللغة الالمانية لدرجة نسيان لغتهم. أما فى الشرق فقد بقى التراث العبرى حيا. فالأذكياء منهم الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة والعمل فى النطاق المسيحى، صبوا اهتمامهم فى دراسة تراثهم، كما استمر العامة منهم فى الامتثال لنظام الحياة التقليدى حسبما يشير التلمود. وكذلك بقى المجتمع اليهودى فى شرق أوروبا مجتمعا متماسكا متراصا قويا طالما أن هيئاته كانت الوسيط الوحيد بين اليهودى والدولة وطالما أن المجتمع نفسه ظل منبعاً لجميع حقوق اليهودي وواجباته الروحية والاقتصادية

http://kotob.has.it

والاجتماعية (١) . إلا أن هنالك فرقاً شاسعاً بين الدراسة العلمانية فى الغرب والدراسة التلمودية فى الشرق . فالأولى ، كمثيلاتها من العلوم والتهذيبات العلمية العصرية كانت تهدف إلى الخلق ، إلى اكتشاف الحقائق الكلمنة وإلى توسيع نطاق معرفة الإنسان . أما فى الثانية ، فالهدف كله مجرد توسيع القانون ليشمل تنوع الحياة وتجديداتها وذلك باكتشاف ناحية أو معنى أو حكم أو ملزمات حكم يمكن تطبيقها على النحو الجديد حتى يبقى التلمود القديم مسيطرا على كل شىء . وشتان بين العقليتين (٢) .

٢ — اليهود الشرقيون مجتمع حى :

زد على ذلك أنه نشأ فى أوروبا الشرقية تراث مغاير تماما لتراث التنوير والعقلانية . ذلك هو التراث المعروف بحركة الحسيديم . نشأت هذه الحركة فى القرن الثامن عشر كرد فعل لانغماس اليهود فى عملية استنباط الأحكام من الأحكام العملية التى لا نهاية لها ، والتى جففت ينابيع الحياة الروحية لليهود وجعلتها معدومة الأخلاق والاصالة . وليست حركة الحسيديم سوى حركة تصرف استهدفت اعادة التقوى والنية الصافية والأخلاق والتعبد الصحيح إلى نصابها فى حياة اليهودى . فكانت مضادة لحركة الميتناجديم وهم رجالات القانون الذين لا يهمهم فى الدنيا سوى تمديد

---

(١) راجع التفاصيل فى كتابى : S.M. Dubnow, History of the Jews in Russia and Poland from the Earliest Times until the Present Day.
Philadelphia : Jewish Publication Society, 1918;
S.W. Paron, The Russian Jew under Tsars and Soviets. New York : , Mocmillan, 1964.

(٢) Abraham Joshua Heschel, The Earth is the Lord's : The Inner World of the Jew in Eastern Europe. New-York : Henry Schuman, 1950.

http://kotob.has.it

القانون وتوسيعه ليشمل الجديد كما شمل القديم . إلا أنها لم تكن ترمى إلى التخلص منهم ، بل إلى مساواة التقوى بالفعل القانونى . كلاهما تقليديان . والفرق بينهما فرق فى الدرجة فقط . وقام صراع بين النزعتين تغلبت فيه النزعة الصوفية على النزعة القانونية بدون هدمها . فشهد القرن التاسع عشر حياة يهودية فى شرق أوروبا ازدهرت فيها النزعتان وآزر بعضهما البعض (١) . وهذا حافظ على الدين اليهودى وجعله قويا خلاقا وفعالا . أما فى الغرب ، حيث لم تنشأ مثل هذه الحركة ، بات الدين اليهودى جافا وسقيما وذلك مما ساعد فى نفور الاصلاحيين من الموقف التقليدى والثورة عليه .

فمن جوف الموقف الدينى لليهودى فى شرق أوروبا أجمع الحاخامون فى مدينة ليسا فى بولندة متجاوبا مع زملائهم وشعبهم فى جميع الاقطار الشرقية : « جميع الأوامر والنواهى الموجودة فى أسفار موسى الخمسة ، أو كما بلورها وفسرها وشرح ملزماتها التأويل التلمودى ، إلهية فى مصدرها وواجبة على جميع اليهود فى كل العصور ولا يحق لأية سلطة إنسانية

---

(١) راجع تحليل نظرية الحسيديم فى :
Jacob S. Mink in, The Romance of Hassidism. New York : Yoseloff, 1955 ;
Solomon Schechter, "The Chassidim" Studies in Judaism: First Series.
Philadelphia : Jweish Publication Society, 1945 Samuel H. Dresner, The Zaddik : The Doctrine of the Zaddik According to the Writings of Rabbi Yaakov Josef of Polnoy. London : Abelard - Schuman, 1960
وراجع مؤلفات مارتن بوبر ، الفيلسوف الشهير فى هذا المضمار ، وإن أردت أستعراض شيئا من أدبهم .
راجع The Hassidic Authology, ed. Lowis I. Newman. New York : Bloch, 1944.

http://kotob.has.it

نقض هذه الاوامر والنواهى أو تعديلها بأى شكل ، مهما كانت أحوالها »(١) وقال سليمان أيجر ، رئيس حاخامى مدينة يوزن فى بولندة معلقا على قضية جايجر — تيكتن التى مرت بنا : « ان اليهود المصدق للتوراة هو الذى يؤمن بأن كتاب القانون الالهى وجميع التفسيرات والشروح الموجودة فى التلمود أعطيت من قبل الله نفسه إلى موسى فوق طور سينا »(٢) .

٣ ـ كلمة « الأرثوذكسية » :

استعملت كلمة « أورثوذكسية » لأول مرة فى تاريخ الدين اليهودى سنة ١٨٠٨ . وكان أول من استعملها الإصلاحيون ناعتين بها المحافظين الذين كانوا يعارضونهم فى دعوتهم للاصلاح . والواقع ، أن استعمال هذه الكلمة من قبل الاصلاحيين خطأ . وذلك أن كلمة أورثوذكسية تعبير مسيحى ، ينطبق على المسيحية فقط لأن لها doxa أو مقررات اتفق عليها كتعريف رسمى للدين المسيحى . فما اتفق مع هذه المقررات كان أرثوذكسية وما خالفها كان .. Heterodoxy . وليس فى اليهودية مثل هذا . ومع ذلك . فقد تقبل معارضو الإصلاح هذا النعت وأخذوا يسمون به أنفسهم فيما بعد . ومنذ زمن ، ابتدأ الارثوذكس يشعرون بعدم صلاحيته وانتخبوا تعبير « اليهودية المصدقة للتوراة » بدلا منه . على أن هذا الوصف أيضاً لا ينطبق عليهم لأن ما يصدقونه ليس التوراة فحسب بل التلمود والتراث الشفهى لربانيتهم . وعلى كل حال ، علينا أن نذكر أن نشأة الملة الأرثوذكسية كانت فى يهود أوروبا الغربيين منهم والشرقيين ، يجذبون إلى العلوم العلمانية والتقدم من جهة وإلى تراثهم القديم من جهة أخرى

---

(١) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٨٢ .

(٢) كما قبله ، صفحة ٨١ .

http://kotob.has.it

جذباً عاطفياً وفكريا . وينبغي أن لا ننسى أن الشرقيين منهم كانوا دائما أشد محافظة على التراث القـــديم .

٤ — نشأة الملة الأورثوذكسية :

كان أول من قدم الموقف الأورثوذكسي وشرحه ودافع عنه هو الحاخام شمشون رفائيل هرش (١٨٠٨ — ١٨٨٨) . ولد هرش في هامبورج بألمانيا لأب عارض تأسيس الكنيس الاصلاحي فيها أشد المعارضة وأسس فيها مدرسة لتدريس التلمود ليناهض مسعى الاصلاحيين . وقد تلقى هرش دروس التلمود في هذه المدرسة ونشأ محافظا كأبيه . ثم درس على يد اسحق برنايس (١٧٩٢ — ١٨٤٢) ويعقوب أتلينجر (١٧٩٢ — ١٨٧١) في معهد الدراسات اليهودية المسمى « يا شيفا » . ولم يتلق العلوم الحديثة إلا لسنة واحدة قضاها في جامعة بون ، ثم باشر عمله الديني كحاخام في مدينة أولدنبرج سنة ١٨٣٠ (١) .

رأينا أن الحاخام جايجر كان يقول بتأويل الدين اليهودي بحيث يصبح مشابها كل الشبه للدين البروتستنطي المسيحي ، على الأقل من الوجهة الخارجية . وعلى نقيض ذلك ، يقول هرش بالمحافظة على أكثر ما يمكن المحافظة عليه من التراث اليهودي بشرط أن توجد له معان تتلاءم مع العصر الحديث . وهو لم يكن محافظا مغلقاً كالحاخام تيكتين ، بل كان يرى ضرورة التغيير وحتميته ، واعتقد بأن التغيير ومناهجه سنة موجودة في التراث اليهودي نفسه . ولعل معرفته بالعلوم العلمانية والحديثة ، ولو كانت ضئيلة جداً ، طمأنته بأن لا تعارض جوهريا بينها وبين الدين اليهودي فبدلا من

---

(١) راجع : Herman Schwab, The History of Orthedox Jewry in Germany. tr. Irene R. Birnburm- London : Mitre Press,1905

http://kotob.has.it

الصمود فى وجه إرادة التغيير عند الإصلاحيين ، اتخذ هرش موقف الداعى إلى تغيير بطىء مدرج حسبما ألفه التراث اليهودى نفسه(١) . وبدلا من رفض الطقوس اليهودية وتشريعات التلمود البالية حاول أن يبعث فيها الحياة بإيجاد معان ووظائف جديدة لها . وألف فى هـذا الصدد عدداً من الكتب(٢) ،

وكانت أولى مشاريعه الناجحة محاولته دحض المحافظة المعارضة لادخال العلوم الحديثة على برامج التعليم فى المدارس اليهودية . وقد استعمل هرش ضد المحافظين سلاحهم بالذات ، أى استمد حججه لصالح العلوم الحديثة والتغيير من التراث القديم الذى يدافع معارضوه عنه . وقال أن الحقيقة كلها ترجع إلى مصدر واحد هو الله سواء أن وجدت فى الطبيعة أو فى ما وراثها ، وسواء أن بحثت على الطريقة القديمة أو الحديثة . وأشار إلى الأمر بالتعلم بشتى الطرق فى الكتاب المقدس(٣) . ومن أقواله المألوفة :

« وما أهمه ، من الناحية الدينية ، أن نحضر شبابنا بالعلوم التى ستؤهلهم لتقدير شروط العيش الشخصية والسياسية والاجتماعية والدينية التى تتحكم فى حياتهم كرجال القرن وكيهود . ما أهمه أن نعطيهم العلم اللازم لتقدير الثقافة الأوروبية المحيطة بهم حق قدرها ولانتهال منها كل ما هو خير

---

(١) أنظر : Judaism Eternal : Selected Essays from The Writings of Rabbi Samson Raphael Hirsch, ed. Isidor Grunfeld. London : Soncino Press, 1959.

(٢) منها Neunzehn Briefe uder Judenthum, Von Ben Uziel; و Horeb : Versuche uber Jissroels Pflichten in der Zerstreuang.

(٣) « تعرف على الله بشتى الطرق » . الأمثال ٣ : ٦ . أنظر كتاب المختارات من مؤلفات هرش السابق ذكره ، جزء ١ ، ص ٢١ .

http://kotob.has.it

ورفعة ا »(١) . ففى هذا المضمار كان يتفق هرش مع الموقف الإصلاحى أكثر من الموقف التقليدى .

وهنالك ناحية أخرى اختلف فيها هرش عن زملائه التقليديين . وهى ناحية الانفصال عن الاصلاحيين انفصالا تاماً كلما سيطر هؤلاء على كنيس أو هيئة فى مجتمع يهودى . ففى سنة ١٨٥١ تخلى هرش عن منصبه الكبير كحاخام أكبر لمقاطعتى مورافيا وسليزيا وكعضو فى البرلمان النمساوى وقبل تعيينه حاخاماً لفرانكفورت حيث أمضى ٢٧ عاماً أو بقية حياته . وفى فرانكفورت ، التى لم يكن فيها كنيس ، أشار هرش على أتباعه بأن يبنوا مدرسة لا كنيسا مؤكداً لهم : « لا حاجة لنا الآن للسرعة فى بناء كنيس ، يلزمنا قبل ذلك مدرسة لبناء جيل جديد من اليهود العالميين الواعين والمتعلمين ، الذين يؤمنون بالدين اليهودى ويتخذونه قصداً لحياتهم . وعندما يحضر ذلك الجيل ، نبنى الكنيس ، إذ ما هى قيمة كنيس عظيم لا يؤمه الرجال والنساء للتعبد ؟(٢) . وأسس هرش مجلة أسماها « ياشيرون » أدخل فيها موقفه وأفكاره إلى كل بيت من بيوت اليهود .

ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت فرقة هرش أقوى الفرق فى فرانكفورت وبنى لها كنيس كبير دفع نفقاته يهود المدينة بأجمعهم ، إصلاحيين كانوا أو تقليديين . وكذلك ، نفذت الإجراءات المأكلية التقليدية فى المدينة تحت مراقبة حاخامين تقليديين وأنشىء فيها حماماً طقسياً . ولكن بالرغم من جميع هذه المكاسب ، لم يطمئن هرش إلى وجود الاصلاحيين بين صفوفه . فعمد إلى التخلص منهم .

وكان هنالك قانون عام فى ولاية بروسيا أنه لا يجوز لليهودى بالخروج

---

(١) المصدر ذاته ، جزء ١ ، ص ٢١ .

(٢) المصدر ذاته ، جزء ١ ، ص ٤٢ .

http://kotob.has.it

على أمته إلا إذا أراد أن يدخل الدين المسيحى، كما أن القانون نفسه لم يسمح للمسيحى بأن يخرج من الكنيسة ويبقى عضواً فى المجتمع . ونقض هذا القانون سنة ١٨٧٣ بخصوص المسيحيين ، لا اليهود . وهذا ما حدا بالحاخام هرش إلى المطالبة بمعاملة اليهود بالمثل حتى يتسنى له ولأتباعه الانفصال عن الإصلاحيين دون الأمة اليهودية . ومما كان أشد استغرابه وعجبه عندما حاول الانفصال بعد تعديل القانون المذكور إذ عارضه كبار أتباعه حرصاً منهم على وحدة الأمة اليهودية ، حتى العالم التلمودى ، موسى لويب ماينز ، وزيلجمان بايرباميرجر ، حاخام فورتزبرج ، عارضاً هرش ، إلا أن هرش كان مستعداً لتضحية وحدة الأمة اليهودية التى طالما منعت الدين اليهودى من الانحلال وأسلمته من الهجوم الخارجى عليه ، وهو بذلك أشد محافظة وتقليداً من التقليديين بما فيهم زعماؤهم الكبار مثل ماينز وباميرجر .

يقول هرش فى هذا الأمر : « يجب على اليهودى الأرثوذكسى أن لا يسهم فى إدارة مستشفى للاصلاحيين . والسبب هو أن ذلك يتعارض مع القوانين الخاصة بالمأكل وبشعائر السبت . فتنفيذ هذه القوانين بحذافيرها يتطلب أن تكون إدارة مثل هذه الهيئات فى أيدى رجال ذوى أورثوذكسية معترف بها . وبديهى أن الإداريين الاصلاحيين غير معترف بأورثوذكسيتهم وهم لذلك غير معتمدين ... وأضيف أن على أعضاء إدارة أية هيئة من هذا النوع أن يكونوا شديدى الحرص على القانون ، لا يقلون فى تشددهم عن محكمة ربانية ... ولهذا ، يجب على الأورثوذكس عدم الاعتراف بهيئة لادينية كهيئة الاصلاحيين ، وعلى كل يهود مؤمن بيهوديته أن لا يقبل أن يكون عضواً فيها » (١) .

---

(١) أنظر كتاب Schwab السابق ذكره ، ص ٧٥ وما يليها .

http://kotob.has.it

وزاد من حدة الخلاف أن دخل فيه أمر إهابة الحاخامين الشخصية ، إذ قال الحاخام بامبرجر بأن مبدأ هرش « يعمل به فقط عندما يثبت أن مؤهلات الحاخامين المذكورين الشخصية ومعرفتهم التلمودية غير متساوية . أما إذا تساوت ، فيجب أن لا يجبر أحد الطرفين على الانصياع لأمر أصدره الطرف الآخر بينما يرى الطرف الأول بمحض اجتهاده أن الأمر خاطىء(١) .

٥ — تحديد موقف هرش الفكري .

يتضح مما تقدم أن عدو هرش الأكبر كان الحركة الإصلاحية ، ويديهي أن حركات الإصلاح كثيراً ما تعتمد على نظرية وفكر تنبثق عنه في بادىء أمرها ، أما الحركات التقليدية فلا تلزمها النظريات في بادىء الأمر . وذلك لأنها تقليدية ، تعتمد على ما قدمه السلف لها . لذلك تأخر مجيء فكر أورثوذكسي أصيل .

كان هرش قد اتخذ شعار المدرسة الجديدة التي أسسها في فرانكفورت جملة من التلمود ، هي « أن دراسة التلمود نبيلة وطيبة إذا أقرنت بمهنة دنيوية»(٢) . إلا أن هرش أدخل معنى جديداً لكلمة « دريخ ابريتس » أو « مهنة دنيوية » . فهو أخذها بمعنى « مدنية العصر » ، وعلى هذا الأساس ، جعل التعليم في مدرسته تعليماً دينياً وعلمانياً . وتصور هرش أن واجب العصر هو بناء علاقة جديدة بين التوراة وحضارة القرن التاسع عشر . لا يختلف هذا التصور عن تصور الإصلاحيين في شيء . وكل ما في الأمر أن هرش لا يوافق الإصلاحيين في ما بنوه من علاقات معينة . فبينما اتخذ الإصلاحيون أفكار وقيم الحضارة المعاصرة كمعيار ثم قاسوا بها التوراة

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٨٨ .

(٢) عن سفر آيوت في المشناة ، ٢ : ٢ . راجع كتاب منتخبات من مؤلفات هرش السابق ذكره ، جزء ١ ، ص ١٥ .

http://kotob.has.it

وأحكامها فتقبلوا البعض ونقضوا البعض الآخر ، يريد هرش أن يتخذ التوراة كمعيار ثم يقيس بها أفكار وقيم الحضارة المعاصرة . ورأيه أن أفكار وقيم التوراة خالدة بينما أفكار وقيم الحضارة المعاصرة وقتية ولا بد لها من التغير . اعتبر الإصلاحيون الحضارة الأوربية كأعلى مرحلة من مراحل التقدم البشرى ورأوا أن على الدين اليهودى إما أن يتفق معها أو يموت . أما هرش ، فقد رأى أن اتفاق الدين اليهودى مع الحضارة الأوربية هو أيضاً موت محقق للدين . وعليه ، ارتأى أن الحل الأعدل والأنجح والأصدق هو أن نأخذ قيم التوراة الخالدة كمقاييس نقيس بها صلاحية مثل القرن التاسع عشر . وألف كتابه « ١٩ تحريراً لابن أوزيال » مفسراً هذا المبدأ ومطبقاً له على لسان نفتالى ، الشخصية الروائية التى اتخذها ليجيب بن أوزيال على ادعاءاته بأن الدين اليهودى دين مغلق وأن لا أمل لليهود إلا برفضه وتبنى قيم القرن التاسع عشر .

وقال هرش فى أحد أجوبته لابن أوزيال أنه يلزم لتفهم الدين اليهودى — وكم بالأحرى للحكم له أو عليه — أن يتخذ الباحث موقفاً من داخل الدين اليهودى لا من خارجه ، وذلك لأن الدين اليهودى « ظاهرة تاريخية » تطورت عبر العصور ، فلها إذاً محتوى ونظام ينبع من داخلها وينشأ من جذورها ، وهذه الجذور فى التوراة التى اكتشفت « قانون الحياة الحقيقى » . علينا أن نتبين علاقة مرمى التوراة وغايتها بكل ما نحن بصدده على حدة(١)

وركز هرش موقفه على قاعدة غائية الوجود وكل مافيه من مخلوقات تعمل كلها فى اتجاه الغاية القصوى التى أرادها الله للدنيا كوحدة . وكان يستمد إيمانه بالغائية من التوراة ، وأدى به إيمانه هذا إلى تصور مبدأ الخلق الأول « كخدمة متبادلة مضطردة بين الإنسان وسائر المخلوقات . فالانسان

(١) أنظر كتاب « ١٩ تحرير » السابق ذكره ، التحرير الثانى ، صفحة ١٣ — ١٥ .

http://kotob.has.it

يعطى لكى يأخذ ويأخذ لكى يعطى » (١) . وبما أنه أرقى المخلوقات صور على صورة الاله ، سخر له كل شيء ، فهو أكثر الآخذين أخذاً ، ولكنه بهذا ينتظر منه أن يكون أكثر الخادمين خدمة . وبالاضافة إلى هذا . تكون خدمة الانسان واعية وكذلك أخذه . وكان هرش أراد بذلك إيجاد قياسين لسلوك الانسان . قياس داخلى وآخر خارجى ؛ فالخارجى هو مطابقة السلوك لقوانين التوراة . أما الداخلى ، وهو الأهم ، فهو مطابقة سلوكه بإمكانياته وموهباته لتحقيق إرادة الله ، كلما عظمت الامكانيات وكبرت المواهب ازدادت واجبات الخدمة . والعكس بالعكس . فالحياة إذاً ، يمكنها أن تفشل فشلا ذريعاً بالرغم من أنقى العواطف والغايات إذا كانت الأفعال غير حسنة ، كما أنه يمكنها أن تكون عظيمة ومفلحة أكبر الفلاح بالرغم من أضأل النتائج إذا لم تسمح الظروف والامكانيات بإنجازات أكبر . فقوة الانسان وضعفه ، حكمته وعدمها ، غناه وفقره ـ كل ذلك محدد بإرادة إلهية لا تتبدل . أما فضيلة الانسان وتقواه ، فهى ثمرة إرادته الحرة ونتيجة استخدامه الحر للملكات التى وهبها الله له (٢) .

ثم تصور هرش أن نشر هذه النظرة إلى الانسان هو رسالة إسرائيل الخاصة . على إسرائيل مسئولية تحقيق غائية الانسان فى خدمته خلال تاريخها وبحياة كل فرد من أفراد شعبها فى حياته اليومية . ولكى تحقق إسرائيل رسالتها ، يجب عليها ان تظل منفصلة عن شعوب العالم اخلاقياً وروحياً . فالاسرائيليون محرم عليهم العيش كبقية الناس ، إذ لا يجوز لهم عبادة المال واللذة ثم إعلام البشر فى الوقت ذاته ان الله واحد ، وانه الخالق والمشرع والأب لجميع المخلوقات (٣) .

---

(١) المصدر نفسه : التحرير الثالث ، صفحة ٢٣ .
(٢) المصدر : انه ، التحرير الرابع ، صفحة ٣٣ — ٣٦ .
(٣) « « « السابع ، « ٦٦ — ٧٠ .

http://kotob.has.it

أى منطق معوج ! إذا كان الله أبا لجميع المخلوقات فالبشر إخوة . وإذا كانت رسالة إسرائيل نشر غائية الانسان كخدمة أخوية لوجه الله تعالى ، كيف لها أن تميز نفسها عن البشر وتنفصل عنهم ؟ وهل تحقيق القيمة مجرد إعلام ؟ ألا يتطلب قبل كل شيء تحقيقها فى نفس المعلم ؟ وألا يجعل مثل هذا التحقيق القائم به يشعر قبل كل شيء بأنه كالبشر ، لا أقل منهم عن أولئك الذين آمنوا بها من غير اليهود وقدموا أنفسهم لخدمتها ؟

أى منطق معوج ! إلا أن اليهود لا يبالون لأبسط قواعد المنطق عندما يختص الأمر بانفصالهم عن الناس . وهاهو هرش يقول « إن قوانين التوراة الكثيرة والمعقدة ومبادئها العديدة كلها أعطيت لاسرائيل لوحدها حتى يتم انفصالها وتمييزها عن البشر » . « وان الله أراد من هذه القوانين تأهيل اليهود وتدريبهم على القيام برسالتهم وتحقيق مصيرهم »(١) .

وهناك نقطة التقى فيها فكر هرش بفكر مندلسون : ألا وهى أن الدين اليهودى ليس ديناً عقائدياً كالدين المسيحى بل ديناً عملياً . « فهو (أى الدين اليهودى) سن لليهود ستمائة وثلاثة عشر واجباً ولكنه لم يضع أية عقيدة » .

وقال هرش : « إن الفكر الصحيح هو الذى يأخذ الطبيعة والإنسان والتاريخ كحقائق مسلم بها ويبنى عليها علمه مستقياً منها المعرفة والحكمة . وهو الذى يضيف إلى هذه المسلمات التوراة لأنها حقيقة لاشك فيها كحقيقة السماء والأرض . والفكر الصحيح لا يعتبر أى تصور لا يؤدى فى نهاية الأمر إلى حياة النشاط والإنتاج ... »(٢) . ولعله فى هذا كان يريد دحض دعاة « الدراسات العلمية فى الدين اليهودى » لأنه انتقدهم فى مكان آخر بأنهم

---

(١) المصدر ذاته ، التحرير الثامن ، صفحة ٧٦ ، التحرير العاشر ، ص ١٠٢ .

(٢) المصدر ذاته ، التحرير الخامس عشر ، ص ١٤٦ — ١٤٩ .

http://kotob.has.it

«ينظرون إلى اجتهاد أسلافنا الثقافية باحتقار شديد» . وقابل بين ما أنجزه أولئك الدعاة وما أنجزه دارسو التوراة خلال الأجيال فسفه الأول . وقال: «عند الأوائل كان العلم والحياة متصلين. الحياة متأهبة للعلم لأن العلم كان يخدم الحياة ، لأن العلم اليهودى ليس إلا علم الحياة بالذات . وهو العلم الذى بنى حتى يطبق على الحياة عملها» (١) .

يعود هرش إلى قضية انفصال إسرائيل ويقول أن الانفصال الذى يدعو إليه روجى ، ويجب أن لايفهم منه أنه يوجب الانفصال الجسمى. فاليهودى الذى يتمم واجباته الدينية كيهودى ، يحصل على احترام وتقدير زملائه غير اليهود . وإليه إذ يرجع أمر الاختلاط بهم للدرجة التى يطيق . ومن هذا توصل هرش إلى إمكانية «التوفيق بين مواطنية اليهود فى العالم الخارجى وبين تحقيقهم لرسالتهم اليهودية» . وفسر هرش هذه الامكانية على أساس أن الاستقلال القومى لشعب إسرائيل لم يكن أصلا وفى أى وقت جزءاً جوهرياً من رسالة إسرائيل» . «الأرض وما عليها لم تكن فى أى وقت العروة الجامعة لاسرائيل ، بل واجب التوراة العام» وذلك لأن وحدة اسرائيل وحدة روحية ، لاتختص بالحياة السياسية أو الوحدة الأرضية ، وعليه ، ليس من شىء فى الدين اليهودى يمنع اليهودى من الانتفاع بجميع مكاسب التحرير (٢) .

وخلاصة القول أن هرش عارض الحركة الاصلاحية لأنه رأى فيها تصنعاً . فهى فى رأيه «تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية فى مبادىء مستعارة من غير اليهود تطبقها على غاية الانسان وحريته . وهى من ثم تحاول من هذه الوجهة الغريبة والمستعارة الحذف ، والتضييق ، والتحديد

---

(١) أنظر كتاب هرش Judaism Eternal السابق ذكره ، جـ٢ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٤

(٢) المصدر السابق ذكره فى رقم (١) أعلاه ، التحرير الخامس عشر ، ص ١٥٧ والتحرير السادس عشر ، ص ١٥٩ ، ١٦١ — ١٦٥ .

http://kotob.has.it

أو النقض لمبادىء الدين اليهودى ومقتضياته »(١) . أما الاصلاح الصحيح فهو اصلاح الذات حسب مبادىء الدين اليهودى الأزلية . هو ضم التقدمية للدين ، لا الدين للتقدمية . « فعند الاصلاحيين ، يعتبر الدين صالحا ويعمل بمقتضياته فقط إلى الحد الذى لا يتعارض مع التقدم . أما عند الأورثوذكس فالتقدم صالح ويعمل بمقتضياته فقط إلى الحـــد الذى لا يتعارض مع الدين »(٢) .

٦ — أول المعاهد الأرثوذكسية :

تخرج معظم ربانية الاورسوذكس من المدارس التقليدية القديمة المسماة « يشيبوت » تلقوا العلم على أيدى أساتذة ناهضوا التقدم ومنعوا أية علوم جديدة من الدخول إلى برامج التعليم . ولم يكن هنالك معهد لاهوتى يهودى يدين بالمبادىء الأورثوذكسية إلى أن قام اسرائيل هيلدسهايمر (١٨٢٠ — ١٨٩٩) بإنشائه . وكان تمكينه من انشاء مدرسة لاهوتية جديدة شرطا من شروط تقبله التعيين كحاخام لمدينة ايز نشتاط بالمجر سنة ١٨٥١ . وقام بتأسيس المعهد وإدارته ١٨ عاما وأدخل فى برامجه مواد اللاتينية والإفريقية والألمانية والحساب إضافة إلى المواد التقليدية .

وفى سنة ١٨٦٨ زاد فى انقسام اليهود إلى أورثوذكس واصلاحيين ، إن الأورثوذكس انقسموا فيما بينهم إلى حاسيديم وميتناجديم ، أى إلى متصوفة وتشريعيين ، مما أدى إلى تدهور الموقف لدى يهود هنغاريا برمتها . وعليه ، استقال هيلد سهايمر من منصبه وانتقل إلى برلين حيث دعته هيئتها الأورثوذكسية ليكون حاخاما لها . وهناك كرر هيلد سهايمر مطلبه فى تمكينه من تأسيس معهد لتخريج الحاخامين الأورثوذكس . فتقبل منه وتأسس

---

(١) المصدر ذاته ، التحرير السابع عشر ، ص ١٧٤ .

(٢) أنظر كتاب هرش Judaism Eternal السابق ذكره ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ ومايليها .

http://kotob.has.it

المعهد فى برلين سنة ١٨٧٣ . ولم يكن معهد ايزنشتاط بل معهد برلين الذى خرج أول فوج من الحاخامين الأورثوذكس(١) .

٧ — الملة الأورثوذكسية فى أميركا :

يحق القول بأن فى بداية استيطان اليهود فى أمريكا ، كانوا جميعاً يدينون بمذهب واحـــد ، هو المذهب التقليدى . وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر ابتدأت حركة الاصلاح تبذر بذورها وترعى قواها القليلة الضعيفة التى نشأت فى ذلك الحين . ولعله يحق القول أيضاً أن حركة مناهضة لحركة الاصلاح ابتدأت فى نفس الوقت تبذر بذورها وتعرض دعواها على الناس . إلا أنه لم يكن لحـــركة الأورثوذكسية المفكرون والمتعلمون الذين توفروا لحركة الاصلاح . ولم يتسن لزعيم الأورثوذكس ، الحاخام اسحق ليزر ، تأسيس مدرسة يهودية إلا فى سنة ١٨٦٧ . ومع هذا فان هذه المدرسة التى سماها بكلية ابن ميمون والتى أسسها فى فيلادلفيا ، لم يكتب لها من العمر سوى ست سنوات ، أقفلت بعدها لعدم وجود الطلبة وعدم وجود المـال .

وحاول الحاخام ليزر لم شمل اليهود التقليديين فى أمريكا بشتى السبل منذ أوائل القرن الماضى . فأسس مجلة The Occident and American Jewish Advecate سنة ١٨٤٣ محاولا الإبقاء على فكرة تجمع اليهود وتقديم وعيهم كيهود . وكانت هذه الفكرة لم تتحقق لدى اليهود فى أمريكا إلا سنة ١٨٤٠ وكان مدارها ماسمى فى ذلك الحين : « بقضية دمشق » . فهى الحادث الذى جعل يهود أميركا يتفقون لأول مرة على توحيد جهودهم فى العمل السياسى لمنفعة الشعب اليهودى خارج أمريكا . يقول الأستاذ

---

(١) راجع كتاب Scnwab السابق ذكره ، ص ٤٨ — ٥٩ .

http://kotob.has.it

عبد الكريم غرايبة فى كتابه سورية فى القرن التاسع عشر : ١٨٤٠-١٨٧٦ فى « قضية دمشق » :

وكانت متاعبهم (أى اليهود الدمشقيين) مع المسيحيين أخطر إذ اتهموهم بخطف المسيحيين لقتلهم وخلط دمهم بالفطير بدلا من دم خاروف الفصح واتهم اليهود فى دمشق بقتل الأب توما الكبوشى . وكان الأب قد اختفى يوم الأربعاء ٢ ذى الحجة ١٢٥٥/٢٥ فبراير (شباط) ١٨٤٠ فاهتم القنصل الفرنسى بالأمر وأقنع السلطات المحلية بتفتيش الحى اليهودى والتحقيق مع بعض اليهود لا سيما الحلاق سليمان اليهودى . ووقع سليمان يوم الأحد فى ١٤ ذى الحجة على اعتراف بأنه ذبح الأب توما بأمر الحاخامين . ووجدت بعد ذلك عظام بشرية ولحم بشرى فى ساقية فى حارة اليهود فقويت الأدلة ضد اليهود . وأخيراً أعلن الحاخام موسى أبو العافية إسلامه واعترف بذبح الأب توما ليصنع من دمه فطيراً أرسل قسما منه إلى بغداد . واعتقل عدد من اليهود وتضامن اليهود فى دمشق وأنحاء العالم لإثبات براءة المتهمين اليهود . وأخيراً قدموا مبالغ من المال إلى محمد على باشا كدليل على براءتهم فأطلق الحاكم المصرى شريف باشا سراح المتهمين وأغلق التحقيق وحفظت القضية . ووقف قنصلا بريطانيا وروسيا إلى جانب اليهود خلال هذه الأزمة(١) .

وردد الحاخام ليزر طلبه بأن يؤلف يهود أميركا هيئة اتحادية لإدارة

---

(١) عبد الكريم غرايبة ، سورية فى القرن التاسع عشرة ١٨٤٠ — ١٨٧٦ . محاضرات القاها على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة : جامعة الدول العربية ، ١٩٦١/١٩٦٢ ، صفحة ١٢٥ .

http://kotob.has.it

أعمالهم الجماعية والسهر على مصالحهم ، وساعده فى ذلك الحاخام إسحق وايز ، حاخام الإصلاحيين . إذ كانت هذه المصالح العامة مشتركة لكافة اليهود ولم يفرق بينهم فيما يتعلق بها إن كانوا إصلاحيين أو تقليديين أو أورثوذكس . ولعل وعيهم كيهود أدى بهم إلى تناسى اختلافاتهم فى سبيل المصلحة العليا لا سيما ما يختص منها بسلامة اليهود أنى كانوا .

تعاون اليهود فى (قضية دمشق) رغم اختلافهم الدينى . لكن هذا الاختلاف لم ينته إلى إقناع الجميع بضرورة الإصلاح ثم القيام به . ذلك أن الحاخام ليزر ، فى أشد أوقاته حرصاً على التعاون مع زملائه ، مانع فى إدخال أى تعديل على الدير ، بل وعارض فكرة اضطلاع الرابنة الأميركيين بمهمة الاصلاح وذلك لأن معظمهم كان من الاصلاحيين .

ولكنها كانت الهجرة اليهودية إلى أميركا هى التى غيرت الموقف . ففى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى ، تدفق تيار من مهاجرى أوروبا الشرقية على أميركا دانوا جميعاً بالمفهومات التقليدية وجاءوا بحاخامهم وأنظمتهم ولغتهم « اليديش » . فلم يكونوا بحاجة إلى ما تكون فى أميركا من فكر أو نظام يهودى . وكانوا ينظرون إلى مأواهم الجديد كأنه « جالوت » أو منفى مضاعف . فهو أولا منفى من إسرائيل القديمة وهو ثانياً منفى بمعنى تنحى واقصاء المهاجرين الجدد عن الشعب اليهودى فى أميركا الذى لا يمكنهم التعايش معه أو الاختلاط به .

وكان طبيعياً أن يتعاون هؤلاء المهاجرون المتعصبون مع الحاخام ليزر ضد الحركة الاصلاحية . وبالفعل ، تم تعاون الفريقين ، لاسيما بعد أن أعلن الاصلاحيون موقفهم مبلوراً ومقرراً نهائياً فى مؤتمر بيتسبورغ عام ١٨٨٥ إلا أن ذلك لم يدم وعندما تم تأسيس معهد لاهوت الحاخام إسحق الحنان

http://kotob.has.it

سيكستور فى نيويورك سنة ١٨٩٧ من قبل الأوروبيين الشرقيين تجديداً لولائهم للحاخام المذكور . وكان من عظماء التلموديين فى مدينة كوفنو فى ليثوانيا — حصل الاختلاف من جديد بين التقليديين من أوروبا الشرقية والتقليديين الأمريكيين ولم يعترف الآخرون بخريجى المعهد الجديد .

وأخيراً ، ضم معهد يشيبا اتر حاييم إلى المعهد المذكور سنة ١٩١٥ ، وأعيدت تسمية المعهد المشترك سنة ١٩٢٨ فأصبح يدعى « كلية يشيبا » ، ثم « جامعة يشيبا » . وسيطر تقليديو أوربا الشرقية عليه وأصبحوا هم الممثلين للملة الأورثوذكسية . أما التقليديون الأمريكان الأوائل، فقد ذابوا من الوجود وانصهروا ضمن يهود أوروبا الشرقية . والسبب فى ذوبانهم يرجع إلى عدم توفر أيديولوجية مستقلة لهم . فالصحيح ، أن الموقف الأورثوذكس كله فى أميركا ليس له فلسفة تذكر . وأهم مافيه هو التقليد . والتقليد ليس بفلسفة وهو غير خلاق .

يقول الحاخام ليو يونج، أشهر زعماء المفكرين الأورثوذكس الأمريكان مدافعاً عن صلاحية التلمود للقرن العشرين : « خذ للتشريع التلمودى مثلا: أن وسائل المواصلات الحديثة لم يرد لها ذكر فى المشناه ، ولكنها مذكورة بل ومفروغ منها فى أبحاث الربانية التلمودية الذين عاينوا مسائلها عن طريق معاينة وسائل المواصلات فى الإمبراطورية الرومانية القديمة وقوافل الجمال فى أيام الاستقلال الفلسطينى(١) » .

---

(١) أنظر مقال Leo Jung, "What is Orthodox Judaism" فى كتاب 2nd Series. New York, 1930, The Jewish Library, ed Leo Jung صفحة ١١٤ وما يليها وأنظر أيضاً لنفس المؤلف بحثاً بعنوان Judaism نشره The National Council of Jewish Women 1945, ص ٥ .

http://kotob.has.it

ولاغرو أن رفض هذا الموقف قسم من اليهود الذين يؤمنون بالتوراة ولكن لايستسيغون مثل هذا الحشو الفارغ الذى لا يفرق بين الجمال ومراكب الفضاء . وهؤلاء ليسوا بالاصلاحيين بل بالمحافظين . وسنتناول بحث نشأتهم ومبادئهم فى الفصل الثانى .

٨ — عقيدة الملة الأورثوذكسية :

يعرف الأورثوذكسيون عقيدتهم كما يلى :

أولا : الدين اليهودى ليس عقيدة كما هو الحال فى المسيحية . والخلاص، أو الفلاح ، ليس بالإيمان ، بل بالعمل . فالدين اليهودى نظام حياة قبل أن يكون عقيدة .

ثانياً : مصدر التوراة هو الله . فهو صانعها ومؤلفها وكاتبها حرفاً بحرف . والتوراة هى الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس كما هو اليوم . وهى التوراة المكتوبة . سلمها الله لموسى تسليما يداً بيد عندما أظهر نفسه على شعبه إسرائيل المجتمع فى أسفل الطور . وكذلك ، أعطى الله لموسى على طور سينا وفى نفس الوقت الذى سلم فيه التوراة المكتوبة ، توراة أخرى ، غير مكتوبة، شفهية، هى مجموعة القوانين والنظم والترتيبات التى دونت فيما بعد ، بعد أن تناقلها الإسرائيليون شفهياً جيلا بعد جيل بالتواتر .

ثالثاً : لأجيال طوال كان محرماً وضع هذه القوانين فى كتاب . ولكن عندما تعرضت التوراة الشفهية للخطر بسبب تضعضع أحوال إسرائيل السياسية، سمح الربانية بتدوينها كى لا تضيع وتفسد فالتوارة الشفهية هى المشناه . وجملة التوراة المكتوبة، والتوراة الشفهية ، والقوانين والأنظمة والترتيبات

http://kotob.has.it

التى توصل إليها الربابنة بطريق التفسير والتأويل والتحليل المتفقة مع مبادىء التوراة ، تكون فى جملتها مايسمونه « الحلقاه » .

رابعاً : يعتبر اليهودى الأورثوذكسى « الحلقاه » كنظام معيارى للحياة : أى للدين وللدنيا معاً . وهو يؤمن أن الحلقاه تتطلب منه تطويع جميع طاقاته لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلف ذلك من تضحيات .

خامساً : يؤمن اليهودى الأورثوذكسى بمصدر التوراة الإلهى كمقولة أولى وعليا لتفكيره على جميع المستويات . وعلى هذا الاعتقاد يبنى اليهودى الأورثوذكسى حجته أنه بما أن التوراة مستمدة من الإله والإله أزلى ، فإنها هى أزلية ، تطبق على مدى العصور فى جميع الأمكنة بدون أى تغيير أو تبديل . وعليه ، يؤمن الأورثوذكسى أنه يجب أن تتغير الحياة ، لا القانون حين يعترض القانون بالحياة .

سادساً : على اليهودى الأورثوذكسى أن لا يستنتج من المبدأ الخامس أنه لا يمكن التعايش مع غير اليهود أو مع العصر الحديث . فهو يؤمن بإمكانية هذا التعايش ، بل بأن التوراة تأمر به بشرط أن ينصاع كل شىء إلى مبادئها وقوانينها :

سابعاً : فقط أولئك الذين تخرجوا من معاهد الربابنة الأورثوذكسية وحصلوا منها على أجازة « سميحاً » لهم الحق فى إقامة الطقوس الدينية والتكلم فى أمور الدين وتفسير التوراة . وعليهم طبعاً القيام بهذه الواجبات تماماً كما قام بها الأولون بالتواتر .

نظم الملة الأورثوذكسية :

يلقن الأورثوذكس تعاليمهم لأبنائهم حتى يجعلوا منهم حاخامين وربابنة فى مدارس خاصة تسمى « يشيبا » . وفى مدارس اليشيبوت (جمع يشيبا)

http://kotob.has.it

فى أمريكا ما يقدر بخمسين ألف طالب . وهو عدد ضئيل بالنسبة للأربع ملايين أو يزيد من اليهود الأورثوذكس القاطنين فى الولايات المتحدة الأمريكية(١) . ولا يزال معظم سكان أوروبا الشرقية بما فيها روسيا يدينون بالمذهب الأورثوذكسى. إلا أن التعليم الدينى فى البلاد الشيوعية جد ضعيف. ويعطى الطالب عند انتهاء دراسته أجازة تسمى « سميحا » لها من المكانة ما لعملية الـ . . . ordination فى الكنيسة المسيحية .

ولعل أقوى ملة أورثوذكسية يهودية فى العالم هى الموجودة فى إسرائيل وذلك لا لعدد أفرادها أو لتمسكهم العنيد بالتوراة والتلمود وحذافير قوانينها ، بل لتمتعهم بالدعم السياسى والحكومى للدولة . فالدولة الإسرائيلية لا تعترف بأية ملة سوى الملة الأورثوذكسية .

وسبب ذلك يرجع إلى العهد العثمانى فى فلسطين ، حيث كانت الادارة تتبع النظام الملى ، وهو النظام الذى وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة والتى كان ميثاقها المعروف وأولى وثائقه فالمذهب الملى لا يعترف بحقوق

---

(١) قالت مجلة Saturday Evening Post فى مقال لروجر كاهرة نشرته فى عددها العاشر للسنة الواحدة والأربعين بعد المئتين بتاريخ ١٨ أيار (مايو) ١٧٦٨ فى صفحة ٣٤ وما يليها بعنوان The Passicnate People وما يلى : « أن عدد اليهود الأورثوذكس سنة ١٩٦٤ فى الولايات المتحدة بلغ ٢٠٤٨١٥ من الرجال الراشدين يقتمون لألف وستمائة وسبع كنائس ، هذا وأن نصفهم يقطنون فى ولاية نيويورك وجميع هؤلاء ينحصرون فى المدن الكبرى فى الولاية . أما عدد اليهود الأورثوذكس الصحيح فهو غير معروف . وكل ما يمكن لنا هو التخمين . لعلهم بلغوا السبعمائة الف رجل راشد » . والحقيقة لا يعرفها إلا اليهود أنفسهم بل حتى هم لا يعرفونها تماماً بالنظر لوجود الكثيرين ممن ينكرون دينهم طمعاً فى كسب المال أو السلطة أو الجاه ، وبما أن الدستور الأمريكى يحرم سؤال أى مواطن عن دينه ، لا تملك أية هيئة أمريكية ، بما فيها الحكومة ، أية إحصاءات يمكن الاستدلال بها عن عدد اليهود أو عدد المنتمين لأية ملة يهودية . وقد كان دائماً ولا يزال من مصلحة الهيئات اليهودية أن تقلل من عدد أعضائها حتى تظهر بمظهر القلة المغلوب على أمرها وتنال عطف المواطنين فى كل مكان .

http://kotob.has.it

مدنية للأفراد إلا على أساس عضويتهم فى مللهم المختلفة . فأحوالهم الشخصية ومعظم معاملاتهم مرتبطة بالقانون الذى تعمل به ملتهم، وليس للفرد هوية أو حقوق سياسية ومدنية إلا التى تنبع من كونه عضوا فى هذه الملة أو تلك. وكما كانت الحال فى الجيتو الأوروبى ، كان للملة فى النظام الإدارى العثمانى هيئة من رجال الدين والقانون تعترف بها الحكومة كالسلطة العليا لتسيير أمور الملة الجماعية والفردية . وكان للملة اليهودية فى فلسطين مثل هذه الهيئة يرأسها حاخامهم الأكبر ، وطبعا ، كانت كلها من الملة التقليدية المحافظة أو الأورثوذكس ، إذ لم يكن فى الأمبراطورية العثمانية حركة إصلاحية فى الدين اليهودى على الإطلاق .

وبعد أن جاء الاحتلال الانجليزى ، تألفت حكومة الانتداب الانجليزية معتبرة نفسها وريثة الحكم العثمانى فأبقت الأوضاع على ما كانت عليه واستمر الاعتراف بالهيئة الأورثوذكسية كممثلة لجميع اليهود . وما أن شكلت الوكالة اليهودية لفلسطين حتى أدمجت الهيئة المالية فيها وأصبحت دائرة من دوائرها.

ويقبل ذلك الوضع المجلس الصهيونى العالمى ، وهو السلطة العليا للوكالة ، لسببين :

الأول : أن أغلبية أعضائه كانوا ولا يزالون من الأورثوذكس ، وذلك لأن الأورثوذكس فى العالم هم الأكثرية .

والثانى : لأن الصهيونية مبدأ تقليدى محافظ يتجانس مع المبادىء الأورثوذكسية . وقد رأينا أن الفكر الإصلاحى كان يعارض الصهيونية كمبدأ ويدعو اليهود إلى الانسجام فى المحيطات التى يعيشون بها ويتنصلوا من القومية اليهودية التى نادت بها التوراة خلال القرون . فلا غرابة إذا أن لم يكن لهم فى المجلس الصهيونى العالمى صوت مسموع .

ولم يغير شيئا من هذا ما تدفق على فلسطين من هجرة يهودية قبل ١٩٤٨ إذ كان معظم المهاجرين من أوروبا الوسطى والشرقية حيث كانت الأكثرية

http://kotob.has.it

أورثوذكسية . أما بعد ١٩٤٨ فقد هاجر يهود الشرق العربي إلى إسرائيل مكونين نصف سكانها أو أكثر . وهؤلاء جميعا من التقليديين المحافظين الذين لم يسمع بينهم صوت إصلاحي واحد يجعلهم يميزون أنفسهم كأورثوذكس أو غير أورثوذكس عن الاورثوذكس الأوروبيين ومن الطبيعي أن يخضع هؤلاء كلهم إلى تحكم الهيئة الأورثوذكسية في أحوالهم الشخصية وحياتهم الدينية .

وعندما قامت الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ وتحولت الوكالة اليهودية إلى حكومة رسمية للبلاد المحتلة ، أصبحت دائرة الهيئة اليهودية الأورثوذكسية فيها وزارة للشئون الدينية فأكملت سيطرتها على جميع اليهود . فبينما كان يمكن اليهودي الشاذ في عهد الانتداب البريطاني أن يعقد نكاحه حاكم مدني بريطاني ، أصبح بعد قيام إسرائيل لا يجوز لأية سلطة أو هيئة أن تقوم بأي إجراء يتعلق باليهود إلا إذا كانت سلطتها مخولة لها من قبل وزارة الشؤون الدينية الأورثوذكسية .

ويجب أن لا يفهم من إتباع إسرائيل كمجتمع ودولة للملة الأورثوذكسية أن الاسرائيليين كلهم يؤمنون بالمبادىء الأرثوذكسية ، فالحقيقة التي لا تقبل الجدل في أن إسرائيل ، وإن تمسكت كمجموعة بشعائر الذبح على الطريقة الكوشير ، وشعيرة السبت ، بتعطيل أعمال الحكومة وحركة المواصلات وإغلاق المتاجر من مساء الجمعة حتى مساء السبت ، لا تتوانى دقيقة واحدة عن الضرب بالتوراة وقوانينها عرض الحائط عندما تتعارض هذه مع مصلحتها السياسية والعسكرية . فالأصدق هو أن تعرف كدولة علمانية لا تقل تقدمية من حيث تحقيقها لمصالح الشعب اليهودي عن الاصلاحيين . أما من جهة الأفراد ، فالأصدق هو أن معظم المهاجرين الأوربيين علمانيون لا يتقيدون بأحكام التوراة ومعظم المهاجرين الشرقيين تقليديون لا يزالون يدينون بولاء شبه تام إن لم يكن تاما للتوراة وشرائعها .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل السادس

الملـــة المحافظة

نشأة الملة المحافظة :

كانت أوروبا الغربية ، لاسيما ألمانيا ، المسرح الذى قامت فيه الحركات اليهودية فى القرن الماضى والتى نشأت عنها الملل المعاصرة ، وكانت الحركتان الرئيسيتان هما حركتى التنوير والتحرير ، وهما لم تنفصلا عن بعضيهما إلا انفصـــالا زمنيا . فكلما جاء التنوير ، وزعزع أركان التعصب العنصرى والدينى ، تبعه ولو بعد زمن ، تحرير اليهود فى الجيتو تحريرا تدريجيا .

وقد فعلت كلتا الحركتان فعلهما فى الروح والفكر والحياة اليهودية ، ولكن على عكس النظام الزمنى عند المسيحيين . فبينما كان التنوير يأتى أولا ثم يتبعه التحرير ، كان عند اليهود يأتى التحرير أولا فيتيح الفرصة لليهودى للدراسة والمطالعة والاختبار فينتج عن تحرره تنوير عقله وتفتح روحه للحركات الفكرية والدينية المعاصرة . إلا أنه لم يكن هذا التسلسل ضروريا ولازما . وقد رأينا أن بعض اليهود تنوروا وتعايشوا مع الحضارة المعاصرة بعد أن تحرروا ، وأن بعضاً آخر لم يتنوروا وأبوا أن يجاروا الحضارة المعاصرة هؤلاء هم الأرثوذكس وأولئك هم الاصلاحيون .

على أن معظم الذين أرادوا التحرر وتقبلوه ، سواء من الاصلاحيين أو من الأرثوذكس ، شعروا بأنه لابد للدين اليهودى أو لشعائره من بعض التغيير مجاراة للعصر . ومع أنهم اختلفوا فى مدى هذا التغيير ونحواه ، اقتنع معظمهم بأن لابد من محاولة جديدة لإقناع شباب اليهود الجامحين بأن الدين اليهودى يصلح للعصر الحديث، ولا غرو أن المثقفين والمتقدمين

http://kotob.has.it

فى العلم والاختلاط بالمسيحيين مالوا إلى مبادىء الدين الأخلاقية ورسالته العالمية أكثر مما مالوا لشعائره الدقيقة التى ورثوها عن الآباء والأجداد . وطبيعى أن يعتقد هؤلاء المثقفون بأنها المبادىء الأخلاقية ، لا الشعائر والقوانين الدقيقة ، هى التى تجعل الدين اليهودى مجاريا للعصر والمدنية .

وقد رأينا أيضاً أن قسما كبيرا من يهود شرق أوروبا لم ير مثل هذا الرأى . فهؤلاء خافوا أن يضيع الدين تحت وطأة النزعات الجديدة لاسيما ما يتعلق منها بانحلال النظام الملى فى الجيتو . ورأينا أن قسما آخر قصروا التغيير إلى الحد الأدنى الذى لابد منه ، راضين عن التحرر ، ومطالبين بأن بأن يكون لهم مكان فى القرن التاسع عشر ولكن مصممين على تحديد ذلك المكان كى يحافظ على النظام اليهودى للحياة وتبقى مؤسساته ، كلا القسمان أورثوذكسى بالرغم من تفاوتهما فى تقبل مدنية القرن . وهنالك قسم آخر من الناس أعلنوا استعدادهم لتقبل بعض العلوم الجديدة إيمانا منهم بأنها لا تتعارض فعلا مع الدين وأكدوا أنهم فى حالة تعارضها مع الدين فإنهم يأخذون بالدين ، وظن هؤلاء الناس بأن الدين اليهودى هو الحكم والمرجع الأخير بل المقياس الذى تقاس به صلاحية العلوم الجديدة . وهم لم يعارضوا فى أحداث بعض التغيير فى طقوس العبادة بشرط أن لا يمس ذلك قوانين المعيشة اليهودية . وهؤلاء أيضاً فرع من فروع الملة الأورثوذكسية . فلا مراء إذا أن الأورثوذكس اليهود على أنواع عديدة تختلف عن بعضها بتفاوت درجات التعصب للماضى والتقدم نحو المدنية والعلوم فى كل منها .

ولكن هنالك بون شاسع بين أكثر الأورثوذكس تقدمية وتفتحاً وبين الاصلاحيين مهما اتسموا بسمة المحافظة أو التقليد . وكان لا بد أن يوجد أناس لا يجدون لنفسهم محلا لا بين هؤلاء ولا بين أولئك . ولعله الحق أن جايجر ولودفيج فيليبسون (١٨١١ — ١٨٨٩) وصمويل كاهان

http://kotob.has.it

(١٧٩٩-١٨٦٢) كانوا يشيرون إلى أولئك المتوسطين بين الأرثوذكس والإصلاحيين عندما قالوا قولهم فى الموضوع قال إبراهام جايجر : «أولئك بين بين ، يحاولون دمج الأفكار التقليدية السائدة بالتى يأتى بها التأمل العميق ، ولكنهم ، فى غيهم الدينى ، مدفوعون بتلك الآراء والصور التى تجعلهم يمثلونها كأنها تراث الصبا الثمين(١)» . وقال فيليبسون متفائلا : «إن رجال الوسط إصلاحيون أيضاً ، فهم يريدون تنظيف الماضى وبعثه بروح جديدة(٢)» . وأخيراً ، قال كاهان ، محرر مجلة Archives Israélites de france ، متمسكا بمبدأ الوسط : «إن الاصلاحات التى أوافق عليها وأدعو لها هى إصلاح منهجنا التعبدى حيثما يختلف ذاك المنهج عن وقائعنا وعاداتنا . إنا ندعو إلى إصلاحات كان أسلافنا ليقيموها لو كانوا يعيشون بيننا الآن . ولكن لابد للربابنة واللاهوتيين اليهود من الاجتماع وبحث هذه الإصلاحات والموافقة عليها . بل إن للأقلية غير الموافقة بيننا كل الحق برفض العمل بمثل هذه الاصلاحات بخصوص أعضائها(٣)» . والواقع أنه يمكن وصف رجال الوســـط بأنهم يتخذون خطوة واحدة أكثر من

---

(١) Abraham Geiger, ed., Wissenschaftliche Zeitschrift fur Judische Theologie. Frankfort, 1835 ، صفحة ١ ، جزء ١

كما فى كتاب جونتربلاوت السابق ذكره ، صفحة ١٩ .

(٢) كتاب جونتربلاوت السابق ذكره ، صفحة ٢١ . أخذ كلام فيليبسون من مجلة : Die Allgemeine Zeitung des Judenthums التى كان يصدرها المؤلف فى لايبزج بألمانيا بتاريخ ١٨٣٧/٧/٢٧ ، صفحة ١٦١ وما يليها .

(٣) Samuel Cohen ed, Archives Israelites. de France Paris, 1840, . جزء ١ ، صفحة ٢٣٤

http://kotob.has.it

الأورثوذكس فى اتجاه الإصلاح . لكنهم يأبون اتخاذ الخطوة الأخيرة فى نفس الاتجاه التى يمكنها أن تدفع بهم إلى معسكر الإصلاحيين .

٢ — تجديد موقف زكريا فرانكل :

حاول زكريا فرانكل ، رئيس حاخامين مدينة دريسدن بألمانيا (١٨٠١-١٨٧٥) تعريف الموقف المتوسط . وقام بذلك خلال صفحات مجلة Zeitschrift fur die religiosen Interessen des Judenthums : التى نشرت سنتى ١٨٤٤ و ١٨٤٥ ، وفى مجلة Monatschrift fur geschichte und wissenschafi des judenthums التى أسسها سنة ١٨٥١ وتولى تحريرها ، وكان فرانكل أول حاخام فى مقاطعة بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا اليوم) ألقى وعظه فى الكنيس باللغة الألمانية . قال فرانكل مؤنباً الأورثوذكس : « يجب علينا أن نوقن أنه فى منهاج الملة الأورثوذكسية الذى يقعد عن الحركة والعمل ، ثم يدور فى دوامة بحثاً عن الحقائق المعروفة والمؤكدة فلا يجدها ، هلاكا محققاً » . وقد أنب الموقف الإصلاحى بنفس اللهجة والعنف . ومع اعتقاده بأن الدين اليهودى يجتاز أزمة شديدة فى العصر الحديث ، فهو يؤمن أن فى الدين من القوة ما سيمكنه من التغلب واجتياز الأزمة فى نهاية الأمر .

وقال فرانكل بالحرف الواحد مؤكداً توسط المبدأ المحافظ بين الأورثوذكس والإصلاحيين وكأنه يريد أن يلازم الطرفين النقيضين : « سأؤكد فى الصفحات اللاحقة تقدمية الدين اليهودى . وأنا أعده من واجبى أن أمنع ذلك الإصلاح السلبى الذى يؤدى إلى انحلال الدين اليهودى ، وأن أبين كيف تنطوى تعاليمه على إمكانية التقدم العصرى . . . صحيح أن أناساً عديدين من اليوم لا يولون الدين الأهمية والجد كما كان يفعل أسلافنا ونلاحظ أن آخرين يسيئون فهم أعماق الدين اليهودى فيدفعون به إلى

http://kotob.has.it

الانحلال فى مدنية هذا العصر . ولكن هذا يجب أن لا يكل همتنا . . . فللدين اليهودى مقومات داخلية قوية ثابتة فى استمراره عبر العصور وتقدمه . أما كيف لهذا التقدم أن يستمر الآن فذلك يجب أن يتعين بالبحث العلمى المستند على أسس تاريخية وضعية(١) » . أى يتعين التقدم فى الدين اليهودى بالبحث العلمى المستند إلى أسس تاريخية ووضعية . وبجملته الأخيرة أعطانا فرانكل أصعب وأعقد مبدأ فى الدين اليهودى المعاصر . وهو لم يستطع تفسيرها بوضوح ولم يفهمها أحد لا فى عصره ولا من بعده فهماً أكيداً . ومع هذا فقد أصبحت هذه الجملة مفتاح المبادىء المحافظة وركيزة الملة برمتها ، بل « الوثن » الذى تمسكت به الفرقة التى أسسها فرانكل منذ ذلك التاريخ(٢) .

علينا أن نذكر أن كلمة « وصفى » و« وصفية » كانت دائرة على الألسن فى ذلك الوقت بعد أن أعطاها أوجست كونت معنى يقارب من معنى كلمة « علمى » أو « علمية » . ولعل فرانكل عنى بعبارته مزيجاً خاصاً من الروح التقليدية والعلم الحديث يتمكن به اليهودى من الاحتفاظ بهويته وتراثه وفى نفس الوقت يجارى العصر ويتمتع بالمدنية الحديثة . قال : « إن مجرد الحاجة إلى التغيير لا تبرر التغيير . ولكننا لا نستطيع أن نتناسى أن الجمود خلال القرون الطويلة لا يلزمه تغيير . . . كأن الدين اليهودى إلى الآونة القريبة ديناً جامداً . وكان ينبغى له أن يبقى كذلك طالما أن اليهود كانوا سعداء به .

---

(١) انظر كتاب بلاوت السابق ذكره ، صفحة ٢٣ نقلا عن كتاب زكريا فرانكل ، Prospectus ، المنشور فى برلين سنة ١٨٤٣ ، صفحة ٥ وما يليها .

(٢) هكذا سماها لويس جينزبرج Louis Ginzberg فى كتابه :
Students, Scholass & Saints. Philadelphia : Jewish Publication Society, 1928, صفحة ٢٠٢ .

http://kotob.has.it

فإن سعد الناس بدينهم وجب أن لا يغيروه ... ولا يزال اليهود متمسكين بجذورهم التاريخية ... وعليه ، لا بد للإصلاح اليهودى من تحقيق شرطين مهمين : هما ، إجماع الأمة والعلم . فبعدالإيمان ، يضع اليهودى ثقته بالعلم . فالتاريخ كله يشير إلى أن لاهوتيينا لن يكون لهم ولا لدعوتهم أى تأثير إن لم يكن العلم التاريخى الصحيح باليهودية سلاحهم(١) » .

فالاصلاح الجديد إذاً ، الذى يدعو نفسه «الموقف التاريخى الوضعى» يهدف إلى تحقيق الشرطين الآتيين : الاجماع والأساس العلمى ، وليس هذا الموقف ، من حيث الدعوة إلى أساس من العلم ، بجديد . فقد سبق أن رأينا تأسيس Wissenschaft des juden thums الدراسة العلمية للدين اليهودى من قبل ليوبولد زونز ، وا. م. يوست وغيرهم . والفرق بينهم وبين ما دعا فرانكل إليه هو أن فرانكل حاول فعلا تبين ديناميكية التطور التاريخى لليهودية ، باحثاً وراء ما يفسر لماذا كان تاريخ اليهود ما كان وكيف حقق القانون لليهود ما أراد اليهود له أن يحقق . ويستند هذا الموقف إلى يقين بأن الدين اليهودى هو التعبير الدينى لروح الأمة اليهودية ، وهو بمثابة إجماعها الشعبى العام » . وعليه ، يجب أن لا تثير مسألة عما إذا كان القانون من أصل سماوى أو أرضى . فطالما أن القانون يعبر عن هذا الاجماع الشعبى العام يجب أن يبقى سارى المفعول ، حتى وإن كشف البحث التاريخى العلمى بأن وظيفة أو شعيرة ما لم تكن يهودية الأصل بل اخترعت لغرض نشأ فى ما بعد تدوين القانون ، فإن المقياس الذى يجب أن نقيسه هو تحقيق تلك الوظيفة أو الشعيرة لاجماع يهودى شعبى عام . فإذا صح ، يجب المحافظة عليها وإلا فلا بد من إزالتها وإن كانت صادقة وأصيلة وقديمة قدم موسى . ويمكننا إذاً أن نقول أن فرانكل لم يكن يعنى فى كلامه عن التاريخ العلمى للدين

---

(١) كما فى كتاب بلاوت السابق ذكره ، صفحة ٢٤ .

http://kotob.has.it

اليهودى تاريخاً علمياً بالمعنى الصحيح . فأصول وتاريخ الديانة اليهودية الحقيقية لم تكن تعنيه بقدر ما كان يعنيه تحقق الإجماع الشعبي فى كل أمر من الأمور وتجاوبه مع أحكام القانون . وفسر فرانكل ، مذهلا الجميع ، بأن مبدأ تسلم موسى التوراه الشفهية على طور سينا خرافة ابتدعها الربابنة كى يضفوا لوناً من الحقانية على ما أقره الإجماع الشعبي(١) .

يقول فرانكل : « لن يتيسر لنا الرجوع إلى حرف التوراه . فالهوة بيننا وبينها سحيقة »(٢) وهو أيقن أنه سيقرب ما بين الطرفين المتخاصمين بهذه الطريقة الجديدة . إلا انه ، خلافا لما رجاه ، أسس حزباً ثالثاً كبر وتضخم إلى أن أصبح ملة يهودية ثالثة .

٣ — المدرسة التاريخية فى أمريكا :

قام فى أميركا بعض الحاخامين يدعون إلى الوحدة ويتوسطون فى وجهة نظرهم بين الإصلاحيين والأورثوذكس، على نحو ما فعل الحاخامون المحافظون فى ألمانيا . ولعل حاخامى أمريكا غير الإصلاحيين وغـــير الأورثوذكس كانوا يميلون إلى الفلسفة الإصلاحية أكثر من ميلهم إلى الفلسفة الأورثوذكسية ، غير أن تدفق الهجرة على أميركا من أوروبا الشرقية قطع على المحافظين الأميركيين الطريق بأنه أعطى للأورثوذكس أكثرية ساحقة . ولكن أكثرية هؤلاء من المتعصبين المتعنتين ، وهذا دفع الأورثوذكس الميالين إلى التطبع بالمدنية الأمريكية إلى الوسط . فبينما

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب جينزبرج السابق ذكره صفحة ١٩٥ — ٢١٦ ، وكتاب فيليبسون السابق ذكره صفحة ٢٢١ — ٢٢٥ ، ٢٦٨ — ٢٧٠ .

(٢) انظر كتاب بلاوت السابق ذكره ص ٨٦ ، نقلا عن Protokolle und Aktenstucke der Zweiten Rabbiner Versammlung , Juey 15-28, 1845 فرانكفورت سنة ١٨٤٥ ، صفحة ١٨ وما يليها

http://kotob.has.it

زادت هجرة اليهود من شرق أوروبا فى ثقل الأورثوذكس زيادة هائلة ، دفعت بالقسم اليسارى منهم إلى معسكر المحافظين . ومن هؤلاء الحاخام الشهير إسحق ليزر ، الذى طالما حارب الإصلاحيين من وجهة نظر الأورثوذكس ، حتى أصبح فى نهاية عمره يدافع دفاعاً مستميتاً عن وجهة نظر المحافظين .

رأى المفكرون المحافظون فى أمريكا أن التراث الأدبى والدينى الضخم لإسرائيل ليس إلا إنتاجاً ثقافياً ، حصل خلال نشوء وتطور وارتقاء الأمة اليهودية فى مختلف الأزمنة والأمكنة . وهم لم يرضوا عن محاولة الإصلاحيين لقطع هذا التراث الضخم مرة واحدة ، ولا عن محاولة الأورثوذكس لتقديس وتطبيق كل ما حواه هذا التراث . وكما فعل فرانكل هم تفهموا هذا التراث كنتاج للروح اليهودية فى الوقفات التى اتخذتها هذه الروح حيال الأزمات التاريخية التى جابهتها . وآمنوا ، كما آمن فرانكل ، بأن الدراسة العلمية لهذا التاريخ يمكنها أن تجلى القيم التى استهدف الأسلاف تحقيقها عن طريق هذا التراث وأنه بالتالى يمكن لهذا الجيل فعل ما فعله أولئك الأسلاف .

فمن الواضح إذا أن المحافظين الأميركيين لم يعارضوا التغيير الذى دعا إليه الإصلاحيون فكلاهما مقتنع بضرورة التغيير وحتميته . ولكن المحافظين أرادوا أن يكون وحى التغيير نابعاً من أعماق الروح اليهودية لا من خارجها . ولا شك أنهم فى موقفهم هذا يمثلون الفلسفة الداروينية التى سيطرت على العقل الغربى طوال النصف الثانى من القرن التاسع عشر . فكلما أثيرت مشكلة من المشاكل جاء المحافظون بكمية هائلة من المعلومات التاريخية والشروح المتعلقة بالحل التاريخى للقضية ذاتها ، تماما كما يفعل علماء الطبيعة عندما يوجهون مسألة ما . وقد أراد المحافظون أن تكون

http://kotob.has.it

طريقة العلم هى المتبعة فى معالجة جميع القضايا . وهى الطريقة التى تتطلب جميع المعلومات أولا ثم افتراض الحلول ، ثم تجربة الحلول بشكل تخيلى وموازنة حسناتها وسيئاتها بالنسبة لتحقيق الروح اليهودية ثم إقرار الحل الأفضل . ويعتبر المحافظون واجب التمسك بالحقائق التاريخية بديهياً فهى الأولى بانارة الطريق أمام الأمة اليهودية اليوم . فقط عندما يتعارض التراث مع مقتضيات العصر الحديث تعارضاً جذرياً يجوز إعادة النظر فى التراث بقصد تغييره . فإذا قام اليهود بالإصلاح على هذا المنوال ، أصبح من الممكن تجنب اقتلاعهم من جذورهم والحفاظ على الطمأنينة النابعة من التقيد بالتراث القديم .

وقالت المدرسة التاريخية الأميركية أن وحدة اليهود لا يمكن أن تقام على وحدة فى الآراء ووجهة النظر بل يجب أن ترجع إلى ماهو أسمى من ذلك فتسمح بالتنوع فى تأويل العقائد والعادات والطقوس اليهودية . إذ لابد من وحدة يتمتع بها اليهودى ، تعترف له بحق الاختلاف فى تفهمه لدينه . وهذا يناقض السلطة التقليدية التى تمتع بها الحاخامون خلال العصور . فبدلا من أن يكون الربانية محط ومنبع القانون الشفوى الذى ادعوا بأن موسى تسلمه من الإله على طور سيناء ، دعت المدرسة المحافظة إلى قيام متكلمين يمثلون الشعب اليهودى وينطقون باسم إجماعه . وعليه أصبحت عبارة «كلال يسرائيل» أو «إسرائيل الكاثوليكية» أو «إسرائيل المجمعة على هويتها» . هو المفتاح لوجهة النظر المحافظة .

ولذلك دعا المحافظون جميع الفئات اليهودية إلى ضرورة التجمع بدون اعتبار ما يفرقها بعضها عن بعض . وقالوا : «كلنا يهود» ، بمعنى أننا نشترك فى إنتمائنا إلى هذا التراث الضخم والتاريخ الطويل ، وكلنا سواء فى مسؤولية

http://kotob.has.it

الحفاظ على هذا التاريخ والتراث ونقله إلى أجيال اليهود القادمة(١) . إذاً فالاستمرار التاريخي هو العنصر المقوم للأمة اليهودية . وكأنهم يقولون : أننا يهود لأننا كنا ، وما زلنا ، ونريد أن نبقى يهوداً ، لا لأن لنا رسالة إلى العالم ، لها فحواها التي هي كذا وكذا والتي تحقق الخير والحق والجمال للبشر أجمع في الدنيا والسعادة في الآخرة ، كما يقول المسلمون .

وعززت الحوادث ذات الأثر العالمي دعوة المحافظين إلى التجمع أشد التعزيز . كانت قضية دمشق سنة ١٨٤٠ ، وقد بلورت الدعوة إلى التجمع اليهودي للقيام بمساعدة اليهود في سوريا ونشلهم مما ادعي أنه محنتهم . ولا شك أن « قضية دمشق » هي التي جعلت من يهود أميركا كتلة واحدة واعية إذ لم يكن قبلها أية هيئة تنطق باسم جميع اليهود الأمريكان(٢) . وجاءت بعد ذلك ، أي سنة ١٨٥١ ، قضية المعاهدة الأميركية السويسرية التي نصت على حق سويسرا بالتفرقة بين اليهود والمسيحيين من مواطني أميركا الذين يزورونها أو يتعاملون معها . وتبعتها « قضية مورتارا » الإيطالية سنة ١٨٥٨/١٨٥٩ ، وهي قضية مولدة كاثوليكية ولدت طفلا يهودياً وعمدته ثم حكمت المحكمة بتسليم الطفل لعائلة كاثوليكية لتربيته

---

(١) Moshe Davis, The Emergence of Conservative Judaism: The Historical School in 19th Century America. Philadelphia : Jewish Publication Society, 1963 صفحة ٣-٢٠

(٢) Cyrus Adler and Aaron M. Margalit, With Firmness in The Right : American Diplomatic Action Affecting Jews, 1840-1945. New York : American Jewish Committee, 1946, صفحة ٣ - ٨ .

M. Franco, "Damascus Affair", The Jewish Encyclopaedia. ص ٤٢ وما يليها جزء ٤

http://kotob.has.it

على الدين المسيحى غير مبالية بإرادة والدى الطفل(١) .

وبما أنه كان ليهود انجلترا مجلساً قومياً يضم جميع فئاتهم منذ القرن الثامن عشر وهو المسمى « Board of Deputies of British Jews »، وقام اليهود الفرنسيون بتأليف جمعية Alliance Israélite Universelle بزعامة أدولف كريميو على أثر « قضية مورتارا » ، كان لابد لليهود فى أميركا من الشعور بنقصهم على الصعيد الدولى . فقاموا إثر هذه الحوادث بتأليف أول هيئة أمريكية لجميع اليهود سموها The Board of Delegates of American Israelites. واتخـذوا فيلادلفيا مركزاً لأعمالها سنة ١٨٥٨(٢) .

تطور ملة المحافظين :

استطاع المحافظون التعاون مع الأورثوذكس فقط عندما استهدفوا النيل من الإصلاحيين. وكان مرادهم تعاون جميع الفئات على برنامج عمل إن لم يكن على منهاج عقائدى . ومع هـذا فهم لم يكتب لهم النجاح الكامل إلا مؤخراً. وكان أيضاً لتدفق الهجرة من شرق أوروبا أثر معاكس

---

(١) أنظر كتاب سالو بارون ويوسف بلاو السابق ذكره وعنوانه The Jews of the United States, 1790 - 1840 : A Documentary History ثم كتاب آدلر ومارجاليت السالف الذكر ، صفحة ٢٩٩ ـ ٣٢٢ ، ثم كتاب Cecil Roth, A S hort History of the Jewish People. London : East and West Library, 1948 صفحة ٣٨٠ وما يليها ثم مقال : Cotthard Deutsch عن "Mortara Case" فى الموسوعة اليهودية ، جزء ٩ ، صفحة ٣٥ وما يليها .

ثم كتاب Bertram W. Korn, The American Reaction to the Mortara Case : 1858 - 1859. Cincinnati : American Jewish Archives, 1957.

(٢) راجع كتاب دافيس السابق ذكره ، صفحة ١٠١ وما يليها ، وصفحة ١٩٧ ـ ٢٠٠

http://kotob.has.it

فى الصفوف المسيحية . فقد أخذت الدعوة للتبشير بالدين المسيحى بين اليهود تشتد ، وأخذت اللاسامية تحرك رأسها بل وكانت هنالك محاولة لقلب الدستور الأميركى وجعل الدين المسيحى ديناً رسمياً للدولة والواقع أن اليهود اتحدت كلمتهم فى المضمار السياسى فقط عند مواجهتهم لجميع هذه الأخطار المحدقة بهم(١) .

ولكن الحدث الأكبر ، كان مؤتمر بيتسبرج عام ١٨٨٥ . فهو الذى فصل الإصلاحيين عن بقية اليهود إلى غير رجعة وبالتالى جعل تآلف الفريقين مستحيلا . إذ لم يبق للمحافظين إلا الانضمام إلى أحد الفريقين مما يناقض مبدأهم الأساسى . وهم فضلا عن ذلك ، كان لهم اختلافات عميقة وجد مهمة مع كلا الفريقين . لذلك لم يكن لهم بد من أن يؤسسوا حزباً ثالثاً .

أخذ هذا الحزب الجديد يدعو إلى خمسة مبادىء : إقامة شعائر السبت ، وتنفيذ القوانين المأكلية وتقوية التربية اليهودية ومركزة التربية على اللغة العبرية ، ومساعدة استيطان اليهود فى فلسطين(٢) . وهذه هى الغايات التى اعتبروها عامة يجب على جميع اليهود استهدافها والعمل من أجلها . أما من حيث المبادىء الخاصة بالمحافظين ، فقد دعوا إلى جعل الصلاة اليهودية أكثر احتشاماً وورعا بحذف الأغانى والخلاعات القديمة ولكنهم التزموا بلبس القبعة والشال ، البارمولكا والتاليت ودعوا أيضاً إلى اختلاط الجنسين فى مقاعد الكنيس ونظموا هذه المقاعد على نظام البنوك العائلية

---

(١) Joseph L. Blau Cornerstones of Religious Freedom in America. New York : Harper and Row, 1946, ... صفحة ٢٠٥ ـ ٢١٢

Leo Pfeffer. Church, State and Freedom. Boston : Bercon Press, 1953, صفحة ٢٠٨ ـ ٢١٠

(٢) راجع كتاب موشى دافيس ، السابق ذكره ، صفحة ٢٠٢ وما يليها .

http://kotob.has.it

المتبع فى الكنائس المسيحية وكذلك ، دعوا إلى إضـــافة اللغة الانكليزية إلى العبرية فى الصلوات والأدعية وشجعوا استعمالها ، وطالبوا بأن يكون المنشدون أكثر تدريباً وتأهيلا من حيث مقدرتهم الموسيقية . وهم خالفوا الاصلاحيين فى استعمال الأرغن ووافقوهم فى استعمال الكورال وألحوا أن لايكون بين المنشدين أو المغنين سوى اليهود، إذ أجاز الاصلاحيون توظيف المسيحيين لهذا الغرض بالنظر لمقدرتهم الموسيقية دون النظر إلى دينهم .

٥ ـ موقف اسكندر كوهوت :

قال اسكندر كوهوت حاخام كنيس « احافات حيسيد » فى نيويورك ، موجها كلامه ضد كارفان كوهلر ، زعيم الاصلاحيين :

« هل الدين اليهودى مغلق إلى الأبد ؟ أم هل هو محتاج وقابل إلى النشوء والتطور ؟ إنى أجيب على هذا السؤال سلبا وإيجابا . أقول نعم ، لأن الدين للانسان ، وبما أن واجب الإنسان أن ينمو دائما ، وجب عليه تغيير الأنظمة الدينية حتى توافقه فى تطوره ، وأجيب لا ، لأن الدين كلمة الإله وكلمة الإله لا تتغير » .

« أن هدانا هو التوراة ، هو قانون موسى ، كما هو مفسر ومشروح ومطبق فى التراث . وبما أن الرأى الفردى لايصلح بشكل عرفى لجميع الأمة ، على الأفراد والجماعات أن يعهدوا بالتعليم الدينى لأهله فقط ، أى لأولئك الذين يؤمنون بسلطة التوراة والتراث ويتقبلون بشكل متفتح أن ينظروا إلى متطلبات العصر ، النافع منها وغير النافع ، بدون أن يؤدى ذلك إلى تدهور أو تمييع الدين اليهودى » .

« فالإصلاح الذى يبغى التقدم بدون موافقة السلطة الموسمية الربانية ، اعوجاج . هو هيكل أو جثة بدون روح أو قلب أو حياة . . . نحن نريد

http://kotob.has.it

الدين اليهودى مليئا ونابضاً بالحياة . . . ويمكن الدين أن يكون كذلك فقط عندما يصدق نفسه وتاريخه من جهة ، ويتقبل متفتحا أفكار العصر الحديث . فيأخذ بالصالح منها ويدفع بالطالح عندئذ فقط يكون الدين جديرا بالتقدير والاحترام »(١) .

وقال أيضاً فى حفلة تدشين The Jewish Theological Seminary of America سنة ١٨٨٧ ، عندما عين فيه أستاذا للتلمود . « فى هذا المعهد الجديد تسيطر روح جديدة وتتخلل أعماله ودراساته تحفز جديد . هذه الروح وهذا التحفز هما الدين اليهودى المحافظ . فالنزعة اليهودية المحافظة هى التى ستخلق فى طلبة المعهد وفى الطبيعة الثنائية للدين اليهودى . فالدين عبادة وقانون ، نظرية وعمل ، جسم وروح . وهو يأمر بضرورة اتباع القانون كما يأمر بدراسة الدين دراسة علمية »(٢) .

٦ — ايضاح سولومون شاختر :

وإلى هذه الكلمة ، يجب أن نضيف تعريف سولومون شاختر ، رئيس المعهد الذى خلف كوهوت . قال : « إن كلمة (المحافظ) كلمة عامة درجت على الألسن ، لكنى أعنى بها شيئا خاصا هو مجموعة الكنائس التى اختلفت عن الأورثوذكس من حيث التطبيق والعمل دون أن تخالفهم كثيراً من حيث المبادىء والنظريات . . . فالأمريكان اليهود المولودون فى أميركا يتقبلون جميع الأفكار والمبادىء القديمة . ولكنهم يريدون طرقا وتطبيقات جديدة وحديثة . ولعل هذه الخاصية ذاتها هى تعريف اليهودية المحافظة على وجه

---

(١) Alexander Kohut, The Ethics of the Fathers. New york: Privately Printed, 1920 . . صفحة ٧ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤٨

(٢) كتاب موشي دافيس ، السابق ذكره ، صفحة ٢٣٩

http://kotob.has.it

الدقة »(١). وقال شاختر فى مناسبة أخرى : « معيار الدين اليهودى وسنده الأخير هو سنة اليهود الحالية . فالذى يقدسه اليهود هو ما يقدسه الدين والعكس بالعكس . أى بعبارة أخرى ، الدين هو « كلال يسرائيل » . أما التوراة فهى ليست فى السماء ، بل على الأرض . ويرجع تفسيرها إلى ضمير « كلال يسرائيل »(٢) .

٧ - عقيدة الملـــة المحافظة :

(أ) المبادىء العملية :

أولا : الغاية من إيجاد الملة المحافظة ليست خلق ملة جديدة ولا انفصال عن الملل الأخرى ، بل على العكس ، غايتها التوفيق بين النزعتين : الاصلاحية والأورثوذكس . لذلك يعتبر المحافظون تأسيس الملة المحافظة كَلَّةً غلطة لاتقع مسؤليتها على المحافظين المؤسسين ، بل على الاصلاحيين والأورثوذكس الذين لم يستجيبوا لندائهم ولم ينخرطوا فى صفوفهم .

ثانيا : لابد من إقامة الصلوات والوعظ باللغة التى يفهمها العابدون .

---

(١) Cyrus Adler, Lectures, selected Papers, Addresses
جاء ذكره فى كتاب :
Philadelphia : Privately Printed, 1933 صفحة ٢٥١
Marshall sklare, Conservative Judaism : An American Religious Movement. Glencoe : Free Press 1955 صفحة ٢٦٠
ثم كتاب United Synagogne of America, Report of the Second Annual Meeting. New York : United Synagogne of America, 1914 صفحة ٢٦

(٢) Solomon Schechter Studies in Judaism : First Series
Philadelphia : Jewish Publication Society, 1938, صفحة ١٩ـ٢٠
ثم : Bernard Mandeldum, The Wisdom of Solomon Schechter. NewYork Burning Bush Press1963 ص ١٠٢ـ١٠٣

http://kotob.has.it

فإن لم يفهموا العبرية ، يجب أن يسمح لهم باستعمال اللغـــة التى يفهمونها وأكثر اللغات انتشارا فى أمريكا هى طبعا اللغة الانجليزية .

ثالثاً : يجب حذف القراءات المطولة والأناشيد الخلاعة أو المدروشة من الكنيس وجعل الصلاة والطقوس الأخرى كلها على جانب عظيم من الرزانة والهدوء والاحترام بما يتفق مع التعبد .

رابعاً : يجب تربية النساء اليهوديات تربية دينية وإشراكهن فى أعمال الكنيسة وتربية الأولاد الدينية والاجتهاد فى دراسة التاريخ والقوانين والتوراة وكذلك يجب اشراكهن فى الطقوس على قدم المساواة بالرجال .

خامسا : يجب التقيد بالقوانين المأكلية والطقوس البسيتية . وذلك حتى ينفذ الدين اليهودى إلى البيوت والحياة العائلية . كما أنه يجب على اليهود تشجيع أبنائهم على تعلم العبرية إن لم يكونوا يعرفوها .

(ب) المبادىء النظرية :

أولا : فقوله « كلال يسرائيل » : أى الأمة اليهودية كشعب يعى ذاته ويجمع على تعريف نفسه كثالوث يتألف من الشعب الاسرائيلى والتوراة والاله . فهذه المقومات كلها متساوية . إذ لا يتصور الشعب الاسرائيلى دون الإله والتوراة ، ولا الإله دون التوراة والشعب ، ولا التوراة دون الشعب والإله . فالأقانيم الثلاثة تساوى فى مجموعها وحدة عضوية هى الأمة الاسرائيلية أو « كلال يسرائيل » . فبينما أظهر الإصلاحيون الشعب على التوراة وعلى الاله ، وأظهر الأورثوذكس الله والتوراة على الشعب ، على المحافظين أن يساووا ويعادلوا ويجمعوا بين المقومات الثلاثة . ويترتب على هذا المبدأ الإدانة اللازمة للاصلاحيين لإبعادهم تطلع اليهود إلى العودة لصهيون .

http://kotob.has.it

فالذراعى القومية والسياسية فى التاريخ اليهودى أصبحت من مقومات هذا التاريخ . فالتوراة والتلمود وكل الأدب الدينى يتكلم عن مأساة إسرائيل فى المنفى ويأسى لبعدهم عن وطنهم الأصلى فى الأرض المقدسة . وأنه لمن عدم الصدق للتراث والتاريخ اليهودى أن يحذف أمل اليهود بإحراز وطن جغرافى مادى وأن يحرم اليهود فى شتى أنحاء العالم من المكاسب الروحية الجليلة التى تترتب عن إحرازهم هذا الوطن .

ثانياً : مقولة اليهودية التاريخية الوصفية : خلافا للأورثوذكس الذين يتقاعسون عن إدخال أية تعديلات على القانون اليهودى ، وخلافا للاصلاحيين الذين يرفضون سلطة القانون ولزومه ، يعتقد المحافظون أن القانون يجب أن يفحص من جديد على ضوء حاجات الشعب اليهودى الحاضرة ، وأنه ، إن لزمه تعديل ، أن يعدل حسب نقض الطريقة التى عدل وتطور فيها من قبل فى الأزمنة القديمة ، ألا وهى طريقة « الحلقا » . فلابد إذاً من دراسة التاريخ اليهودى دراسة علمية واستخراج المعانى والقيم التى حققها الأسلاف عن طريق إبرام أو تعديل القوانين التى أبرموها أو عدلوها كى يعاد تجسيم هذه المعانى والقيم فى قوانين جديدة تتلاءم مع روح العصر فاستخراج المعانى والقيم من التاريخ هو المذهب التاريخى ، وتجسيدها فى قوانين جديدة تتجاوب مع الأوضاع الراهنة ووقائع العصر الحديث هو الوضعية .

ثالثاً : مقولة الوحدة فى التنوع : أى جمع اليهود ضمن إطار واحد والإبقاء على تنوع فكرهم الدينى وحاجات مجتمعاتهم . تقول مقدمة دستور اتحاد كنائس المحافظين فى أميركا « أن على الكنائس أو الجمعيات الأعضاء فى هذا الاتحاد أن يعطوا ولاءهم للتوراة كما تكونت وجمعت ودونت فى التاريخ . وعليهم أن يعملوا على إقامة شعائر السبت والقوانين المأكلية . وعليهم أن يحافظوا على الاشارة الدائمة فى جميع الطقوس إلى تاريخ

http://kotob.has.it

إسرائيل الماضى وإلى عودتهم لوطنهم وإعادة بناء ملكهم فى صهيون. . .
ومن أهداف اتحاد كنائس المحافظين فى أمريكا لم وجمع جميع فئات اليهود الموالية لليهودية التقليدية والتى تنظر بعين العطف والرضى عن الأهداف السالفة الذكر ، بدون أن يعنى ذلك أن الاتحاد يوافق على ما تقره هذه الكنائس والمجتمعات من تعديلات للقانون اليهودى فى هيئاتها الخاصة »(١).

٨ — نظم الملة المحافظة :

تتألف الملة المحافظة من حوالى مليون ونصف مليون عضو فى أميركا ومن نصف مليون عضو آخر يعيشون فى بقاع الأرض . وبالنظر إلى أن الملة المحافظة تقوم على البحث العلمى لتاريخ إسرائيل ، كان أول الأنظمة التى أسستها هو معهد لاهوت يهودى . وعين لهذا المعهد هدف رئيسى هو توجيه فكرة الملة المحافظة عن طريق البحث العلمى فى التاريخ . وفى الواقع ، يقوم المعهد اللاهوتى اليهودى فى نيويورك بتخريج جميع حاخامى الملة . ويقوم فرع المعلمين التابع للمعهد بتخريج جميع المعلمين فى المدارس الملية المحافظة ، كما يقوم فرع المنشدين بتخريج المنشدين العاملين (حزانيم) فى الكنائس المحافظة . ويقوم المعهد أيضاً بإنشاء وإدارة صفوف ليلية فى شتى البلاد لتثقيف العوام وأعلامهم . لهذا المعهد أكبر مكتبة يهودية فى العالم تضم ربع مليون كتاب فى الدين اليهودى وأكثر من عشرة آلاف مخطوط ، وله أيضاً متحفاً يضم عدداً كبيراً من التحف الدينية . وفيه ١٦٠٠ طالب للحاخامية .

وللملة المحافظة مجلس ربانية يسمى « المجلس الربانى لأميركا » يضم خريجى المعهد السابق الذكر وغيرهم ممن تخرجوا من معاهد ربانية أخرى ثم انخرطوا فى سلك المحافظين . وهو يجتمع على غير موعد على الأقل مرة فى السنة ليبحث شئون الملة ويجيز ما وصل إليه رجالات المعهد اللاهوتى

(١) أنظر كتاب : بنيامين افرون . السالف الذكر ، صفحة ٥٧ .

http://kotob.has.it

من دراسات وموافقتها لمتطلبات المجتمعات والكنائس المحافظة .

وللملة المحافظة مجلس اتحاد كنائس المحافظين فى أميركا . ووظيفته أن يوجد كلمة المحافظين ويتشبث بما يجمعون عليه ثم التعبير عن « الاجماع اليهودى » أو « الأمة اليهودية » فى جميع الأوساط والمستويات . تقوم الملة المحافظة ، كالاصلاحيين ، على نظام الـ Congregationalism ، أى أن الكنائس ومجتمعاتها مستقلة عن بعضها البعض ولكل واحدة منها الكلمة الفصل فى تحقيق مايقره مجلس اتحاد الكنائس أو عدمه .

وقد أسست الملة المحافظة مجلساً عالمياً لكنائس المحافظة سنة ١٩٥٧ ضم الكنائس المحافظة فى جميع أنحاء العالم ، إلا أن اليد العليا فى جهازه التنفيذى والكلمة العليا فى مؤتمراته لرجالات الكنائس الأميركية .

وتمتاز الملة المحافظة بتمسكها بأوامر التوراة والتلمود الطقسية Mitzvot Maasiot التى تبذها الملة الاصلاحية ، وباستعمال اللغة الانجليزية باضافة إلى العبرية فى الصلاة وتسمح باختلاط الجنسين فى الكنيس وهذا ماتنبذه الملة الأورثوذكسية ، وتتفق مع الملة الأورثوذكسية بأنها تجبر أعضاءها على لبس الـ Yarmulke (القبعة) والـ Tlait (الشال) أثناء الصلاة ، وكانت الملة المحافظة الأولى فى إدخال البنات فى صفوف التعليم اللاهوتى والدينى وأسست لهن طقس — Bat Mitzvah أسوة بطقس Bar mizvah الذى يعقد للصبيان عندما يتخرجون من المدرسة الملية بعد اتمام قراءتهم للتوراة وتلقيهم دروساً فى التاريخ اليهودى .

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل السابع

الصهيونية

أو حركة الانتقال من القومية الدينية إلى الدين القومى

١ ـ أصول الصهيونية فى الدين اليهودى(١)

فى المنفى فى بابل بعد سنة ٥٨٦ ، تحول الدين العبرى إلى الدين اليهودى . فى الدين العبرى كان الإله إله شعبه المختار فقط يدفعه ويؤازره ويحركه ويعمل له من أجل استيطانه فلسطين والمحافظة على جلسيته وعنصره . لكنه لم يكن يتدخل فى كثير أو قليل فى حياة الشعوب الأخرى بعد أن تم الاستيطان الأول وقيام مملكة داود . أما بعد المنفى فقد أصبح الإله يتدخل لا لحماية شعبه فحسب بل لإذلال وإخضاع شعوب العالم لشعبه المختار ولاستمرار استعبادهم له على مر العصور . ولذلك ، بعد أن كان أولا إله شعبه وقلما كان إله الآخرين ، أصبح بعد المنفى إله الآخرين ، إله البشر أجمع لا لحبه لهم ولرعايته أو هديه لهم ، بل لإخضاعهم لسلطة شعبه وتسهيل استعبادهم واستعمارهم من قبل شعبه الحبيب . وهذا هو حصيلة حركة الإله من القومية إلى العالمية .

وغير المنفى أيضاً مفهوم التعبد من إقامة الطقوس القربانية إلى دراسة نصوص الوحى أى التوراة والتدين بتلاوتها المستمرة وإقامة القانون الذى جاءت به . وحطم المنفى انقسام الأمة اليهودية القديم إلى طبقات ثلاث ، الكهنة واللاويين والعامة ، لا تجوز الحركة بينهما إلا نزولا من العليا

---

(١) راجع كتاب المؤلف بنفس هذا العنوان ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٩

http://kotob.has.it

إلى السفلى عند نقض الفرد لمقتضيات طبقته . إذ جعل من الأمة كلها طبقة واحدة كلها فى القداسة سواء وإن قام فيها كهنة وقفوا حياتهم على دراسة التوراة وحفظها .

إلا أن أهم ما أحدثه المنفى من تغيير فى الدين العبرى ، وهو إدخاله عليه فكرة المسيح ، أو المتوج ملكا على إسرائيل بمسحه بالزيت المقدس ، وهى فكرة انتظار من يقوم بقيادة اليهود من منفاهم إلى دولتهم يهودا بعمل معجز . فيعيد لهم مملكتهم الداودية ويحقق لهم استعبادهم واستعمارهم للبشر وسيادتهم على الدنيا كلها . وقد رأى المنفيون فى شخص كورش الفارسى مسيحا أرسله الإله لينقذ شعبه المهزوم ويحقق له أحلامه الانتقامية والاستعمارية .

وقامت لليهود إثر عودتهم مملكة كانت على جانب عظيم من الضعف فى عالم الامبراطوريات الدولية . وهزمت هذه المملكة على يد الإغريق ثم على يد الرومان .

ولكن فى كل حين ، لا سيما عند ما كانت تجرى الحوادث على عكس ما يشتهون ، تطلع اليهود إلى المسيح المنتظر ورأوا فيه بلسما لجراحهم . فبعد أن شتتهم الرومان سنة ٧٠ للميلاد فى أنحاء الامبراطورية الرومانية ، تصاعدت أصوات اليهود إلى السماء من جديد بأن يرسل الإله لهم مسيحاً يخلصهم ويعيد لهم مجدهم التليد . بل وأصبح هذا الدعاء والتطلع النفسانى الذى ينطوى عليه عنصراً مكوناً للدين اليهودى . ففى أقدس أوقات السنة فى يوم التكفير أو « يوم كيبور » ، يقول المصلون فى آخر ما يتوجهون به من دعاء « السنة القادمة فى أورشليم » وبهذا التحم الدين اليهودى بالقومية التحاماً أصبح يتعذر بعده فصل السياسة عن الدين . بل دخلت السياسة فى الدين بشكل أصبحت هو فحواه ، وعليه أصبح الدين قومية دينية .

http://kotob.has.it

وهنالك طبعاً من أول هذه النظرية بكاملها كتطلع لمسيح يخلص البشر أجمع من هوة المادة والسلطة والجنس والشر والزمنية ، وتفهموا المملكة التي سيعيد المسيح بناءها كمملكة روحانية يشترك فيها الناس جميعاً على حد سواء . أولئك هم الأسينيون اليهود الذين انسحبوا من الأمة اليهودية وتعبدوا في الصومعات في تخوم الصحراء . فمنهم من دخل في الحنيفية العربية ومنهم من دخلوا في الدين المسيحي وعرفوا بعد ذلك بالغنوصيين .

ومع انتشار الدين المسيحي ، وهو دين تفهم المملكة كنظام عالمي روحاني لا علاقة له بفلسطين الجغرافية سوى القيمة التاريخية بأنها النقطة التي انطلق منها ، ازداد تشبث اليهود بمادية وجغرافية وسياسية المملكة المنتظرة ، فسماوية الأولى تعادلت مع أرضية الثانية . وغالى اليهود ، كعادتهم في كل شيء ، في قيمة المملكة الأرضية ، بل في أرض المملكة المادية . فالذين كانوا يستطيعون سبيلا ، كانوا يوصون بوضع حفنة من تراب فلسطين تحت رأسهم عند دفنهم بعد موتهم ، وقام بينهم بين الحين والحين « مسيحيون دجالون استغلوا سذاجة العامة اليهودية ليحققوا مكاسب شخصية لهم . وتفجرت عبقرية يهودا هاليفي ، الشاعر الفيلسوف (١٠٨٠ — ١١٤٥) عن أسطورة « أن هواء فلسطين مقدس وهذا هو سبب قيام الأنبياء في تلك البقعة من الأرض . فكما أن أرضاً معينة تنتج نبيذاً معيناً ، تنتج تربة وهواء فلسطين النبوة » ! ! ! (١) .

وبناء على هذا التطلع لمقدم المسيح ، اعتبر اليهود أنفسهم أنى وجدوا

---

(١) Yehudah Halevi, Book of Kuzari, tr. by Hartwig Hisohfeld. New York : Pardes Publishing House, 1946
جزء ٢ ، قسم ١٣ ، صفحة ٧٨

http://kotob.has.it

أنهم فى إقامة مؤقتة ، إلى أن يحين يوم عودتهم إلا وطنهم(١) .

٢ — أثر التحرير فى الدين اليهودى وفى القومية الدينية اليهودية :

أحدث التحرير أثراً عميقا فى نفوس اليهود ، لدرجة أنه زعزع قوميتهم الدينية من أساسها . وكان لا بد للقومية الدينية من التعارض مع القوميات الأوربية التى قام التحرير على هدف انصهار اليهود فيها واعتبارهم مواطنين كالمسيحيين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات . وكان من السهل أن يقدم اليهود على الحقوق يستمتعون بها ، ولكنه من الصعب أن يأخذوا بواجبات المواطنية من ولاء وإخلاص وعمل للدولة القومية بنفس الإقدام والحماس كالمواطنين المسيحيين . فكانت المشكلة ، وكان لا بد لها من أن تكون طالما أن الدين اليهودى نفسه قومية دينية لا دين فحسب .

وبلغت المشكلة درجة التأزم عندما سأل نابليون بونابرت : « أولئك اليهود الذين ولدوا فى فرنسا وعوملوا كأبنائها ، هل يرون فرنسا كبلدهم الحقيقى ومسقط رأسهم ويشعرون بواجبهم تجاهها ، بحمايتها والمحافظة

---

(١) كذلك رأى موردخاى مانويل نوح (١٧٨٥ — ١٨٥١) أن الوطن القومى اليهودى الذى أراد إنشاءه فى جزيرة جراند إيلاند فى نهر نياجارا تحت اسم اراراط . قال : « إنى إذ أدعو اليهود ليجتمعوا تحت رعاية الدستور الأميركى والقوانين والأنظمة الطيبة الخاصة بهذا البلد أعلن أن الملجأ الذى أنوى إنشاءه ملجأ مؤقت . فاليهود لن يتخلوا أبداً عن استرجاع وطنهم التقليدى . ولن يتركوا الأمل فى العودة إليه . بل ويجب عليهم أن لا يتخلوا وأن لا يتركوا » أنظر : Isaac Goldberg : Major Noah : American - Jewish Pioneer . New York : Kopf, 1937, صفحة ١٩٤ . Joseph L. Blau and Salo W. Baron, The Jews of the United States, 1790 - 1840 : A Documentary History. New York : Columbia University Press, 1963 جزء ٣ . ص ٨٩٤ — ٩٠٥

http://kotob.has.it

على قوانينها وبالطاعة والولاء لدستورها المدنى (١) ؟ ، ولو حذفت كلمة « فرنسا » من السؤال ووضع محلها « ألمانيا » و « هولندا » و « إنجلترا » و « بلجيكا » و « إيطاليا » وغيرها من بلدان أوروبا لانطبق السؤال ذاته على يهود جميع هذه البلاد ؛ ولكان سؤالا لا بد لليهود الأوروبيين من مواجهته .

وكان جواب معظم اليهود فى غرب أوروبا لهذا السؤال إيجابياً ، إذ غير التنوير والتحرير مفهوم الدين عندهم من كونه قومية دينية إلى كونه دين شخصى كالملل البروتستانطية المختلفة لا يتعارض مع الولاء للقوميات والدول الأوربية . وقال لودفيج فيليبسون فى هذا الصدد : « سبق أن حاول اليهود أن يخلقوا من نفسهم أمة ودولة مستقلة . أما الآن ، فهدفهم هو مشاركة الأمم الأخرى فى توصلها إلى أرقى مراحل التطور الاجتماعى . فواجب العصر الجديد هو خلق مجتمع بشرى يضم جميع شعوب العالم بشكل عضوى . وكذلك ، ليس من واجب اليهود جعل أنفسهم أمة ومن دولتهم كياناً سياسياً مستقلا . إنما واجبهم الحصول على قبولهم فى الأمم كأعضاء فيها عاملين فى مجتمعاتها على قـــدم المساواة مع أبناء تلك المجتمعات »(٢) .

لقد اقتنع يهود أوروبا بأن دينهم يطالبهم بأن يجعلوا من أنفسهم

---

(١) Howard M. Sacher, The Course of Modern Jewish History. Cleveland World. 1958 صفحة ٦٠ ـ ٦٥ . Gunther Plaut, The Rise of Reform Judaism. New York : World Union for Progressive Judaism, Ltd., 1963, صفحة ٧١ وما يليها

(٢) راجع كتاب بلاوت السابق ذكره ، صفحة ١٣٦ ، حيث ينقـل كلمات فيليبسون من مقال « What is Judaism? » من مجلة Allgemeine Zeitung des Judenthums جزء ١ صفحة ٢

http://kotob.has.it

لا قومية دينية بل جمعية دينية يشتركون فيها للتعبد والتدين الشخصي، وأن اشتراكهم فى مثل هذه الجمعيات الدينية لا يتعارض مع اشتراكهم فى المجتمع القومى والسياسى فى كل دولة من دول أوروبا. وقال داود ماركس، حاخام كنيس لندن الغربية سنة ١٨٤٥ مؤكدا عدم التعارض بين الولاءين : « نعم نحن نتطلع إلى عودتنا إلى يهودا ، ولكن فقط فى ذلك الوقت الذى يتغير فيه العالم كله . عندما تنصهر الأمم فى بوتقة سياسية واحدة وينقلب نظامها الحاضر رأساً على عقب . فإلى أن يحدث هذا ، ولا بد لمثل هذا الحدث من أن يتصف بما يتصف به قيام الساعة، يعلنها اليهود بصوت واحد بأن لا رغبة لنا فى أى بلد سوى مسقط رأسنا . فإلى البلد الذى ولدنا فيه نولى ولاءنا ويتوقد شعورنا الوطنى وحماسنا القومى اللذان لا يقلان إخلاصاً وحرارة عن إخواننا المواطنين الإنجليز غير اليهود »(١) . وقد مر بنا كيف عالج جايجر ، مفكر الإصلاحيين الأكبر ، هذه المشكلة(٢) .

وقد تبع هذا التعديل فى الولاء اليهودى تعديل لاهوتى . إذ كان اليهود يؤمنون بأن تشتتهم فى العالم كان جزاء على ما ارتكبوه من إجرام، وأنه لا بد منته عندما يقتنع الاله بتكفيرهم عن خطاياهم . أما الآن ، فهم ظنوا أن تشتيتهم كان أمرا لابد منه ليتسنى لهم تحقيق رسالتهم فى جميع الأمم . فهو خير لا شر . ورسالتهم ليست إلا نشر التعاليم التوحيدية والأخلاقية فى العالم . وكذلك ، رأوا ضرورة إعادة تأويل نظرية المسيح وذلك بتجريدها من معناها السياسى وتأكيد المعانى الروحية فيها كما فعل

---

(١) كما قبله ، ص ١٣٧ حيث ينقل كلمات ماركس من مجلة :
Jewish Chronicle, 1845, جزء ١٢ ، صفحة ٢٧ وما يليها

(٢) Abraham Geiger, Das Judenthum und seine Geschichte . Breslau : Schletherschen Buchhandling, 1865 - 71, ص ٩

http://kotob.has.it

الاسينيون والمسيحيون من قبل . يقول فيليبسون فى هذا الخصوص: «نحن لا نفهم وعود الله بالمعنى الضيق المشبع بالخاصية لإسرائيل . فالمسيح ان يبعث ليخلص إسرائيل فقط. ويؤتيها الحكم على بقية البشر كلا . نحن نركز آمالنا على ما قاله الأنبياء بأن المسيح سيضطلع بواجب أكبر وأعظم وأجل بكثير من هذا. ألا وهو واجب تخليص البشر أجمع وتوحيدهم فى ملك واحد قائم على عبادة الله الحق(١) . وفى نفس الصدد ، قال جايجر : « المسيح الذى سيقود الاسرائيلين إلى فلسطين ليس منتظراً ولا مرغوباً فيه من قبلنا. نحن لا نعرف وطنا غير الوطن الذى ننتمى إليه من حيث مولدنا ومواطنيتنا» وجاء هذا القول فى وثيقة « برنامج وتصريح لليهود الألمان ولأصدقاء الإصلاح الدينى» الذى أعلن فى فرانكفورت سنة ١٨٤٣ كمانيفستو حركة الإصلاح اليهودية . وزاد مؤتمر فرانكفورت للربابنة سنة ١٨٤٥ نفس المبدأ إيضاحاً وتأكيداً عندما قرر : « يجب أن تعطى فكرة إنتظار المسيح مقاماً بيناً فى الصلوات اليهودية . ولكن يجب أن تحذف كل إشارة إلى أرض الأجداد وإلى إعادة بناء المملكة اليهودية فيها »(٢) .

وكذلك أيضاً قال شمشون رفائيل هرش ، زعيم الأورثوذكس . إذ نقض فكرة القومية اليهودية وأول الدولة اليهودية القديمة تأويلا غير سياسى فى رأيه ، أن الدولة والأرض لم تكن سوى المادة التى أدى اليهود بواسطتها رسالتهم الروحية . « أن الأرض والدنيا لم تكونا فى يوم

---

(١) Samuel Holdhein, Neue Sammlung Judischer. Predigten. Berlin, 1852-55, 3 Volumes. جزء ١ ، ص١٥٦ ومايليها
Moses Guttman, Literaturblatt des Orients,
عدد ٢ ، ص ٢٢ وبتاريخ ٩ يناير ١٨٤٤.
نقل هذا الكلام من مصدر بلاوث السالف الذكر ، صفحة ١٤٣ .

(٢) راجع كتاب فيليبسون السالف ذكره ، صفحة ١٦٨ ، ٢٥٥ و ٤٩٢

http://kotob.has.it

من الأيام عروة إتحاد إسرائيل » (١) .

وقد حرص هرش كل الحرص على اجتناب كل ما من شأنه مناقضة مساهمة اليهود فى القوميات الأوروبية . وهو القائل : « إن واجبنا هو أن نشترك إلى أقصى حد ممكن مع إخواننا المواطنين فى كل دولة فى بناء الدولة التى تتبنانا ، وفى خدمتها والولاء لها . واجبنا أن لا ندع أى مجال لانفصالنا فى أية صغيرة عن الدولة التى ننتمى إليها »(٢) . وفسر هرش رسالة إسرائيل على أنها رسالة روحية عالمية مؤكداً أن هذه كانت رسالة الجالوت أو المنفى وأن المنفى لا يزال وسيبقى قائماً حتى القيامة .

٣ — نشأة الفكرة الصهيونية :

يتبين مما تقدم أن مفكرى اليهود من إصلاحيين وأورثوذكس ضحوا فكرة القومية الدينية فى سبيل إحراز مكاسب التحرير وفى سبيل إنصهارهم فى القوميات الغربية وتقبل هذه القوميات لهم . إلا أن هذا الحل ليس وحيداً للمشكلة . فالصهيونية، وإن كانت جذورها تمتد إلى العصر البطريكى فى أوائل الألف الثانى قبل الميلاد (أى عصر إبراهيم) ، هى ولا شك محاولة معاصرة لإيجاد حل للمشكلة اليهودية كما تطورت عبر التاريخ الأوروبى الذى استعرضناه فى هذا الكتاب . فالحل الصهيونى باختصار هو أن يكون لليهود مجتمعهم ، ويكون لهم حقوقهم وواجباتهم ضمن دولة يهودية مستقلة . فيكون لهم الدين والقومية والحرية والإستقلال مجتمعين .

---

(١) راجع كتاب هرش السابق ذكره ، التحرير السادس عشر ، صفحة ١٦١ .

(٢) المرجع ذاته — أنظر أيضاً ، S. M. Dubnow, Natienalism and History : Essays on old and New Judaism, ed. Koppel S. Pinson. Philadelphia; Jewish Publication Society 1958 .

http://kotob.has.it

ولكى نفهم نشأة هذه الفكرة ، لا بد لنا من ربطها بعجلة التاريخ الأوروبى . إذ لا ينكر أنها جاءت كرد فعل فى ذلك التاريخ لما كان يتحرك فيه من قوى وتيارات (١) . علينا أن نذكر أن تحرير اليهود وتمتعهم بكافة الحقوق التى جاءت بها حركة التنوير إلى الأمم الأوروبية ، لم يتحقق بالفعل ، أو على الأقل لم يتحقق كله . ففى نفس الوقت الذى كان يقوم به المفكر اليهودى بإعادة بناء هيكله حتى يتسنى له التعايش مع التنوير والتحرير كان العالم الأوروبى ينسحب من التنوير وينقض مفترضاته شيئاً فشيئاً . فالعقلانية ابتدأت تتحول فى أوروبا إلى لا عقلانية ، وحرية الرأى إلى تسلط فكرى جديد ، ومدنية العصر الحديث إلى نوع مجدد من مدنية القرون الوسطى ، وقد بدا هذا التحول واضحاً فى مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ ، ولا يزال يسرى إلى يومنا هذا . وتبع هذا التحول الفكرى تحول سياسى أدى إلى اضطهاد اليهود من جديد وإلى قيام نظريات قومية متطرفة مثل نظرية « الدم والأرض » التى لا تسمح طبيعتها بقبول اليهود . وهذه اللاعقلانية والقومية العنصرية اجتاحت جميع الدول الأوروبية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

بل أكثر من هذا . نشأت هذه القوميات المتطرفة فى أواخر القرن الثامن عشر فى قطاعين أوروبيين ، هما البلقان وبولندا ، وهما القطاعان اللذان شاهدا تنازع أكثر من قومية واحدة فيهما وتفسخ السكان بين الواحدة والأخرى . وفى الواقع ، نشأ يهود الكالاى (١٧٩٨ — ١٨٧٨) أول الصهيونيين بالرغم من أنه غير معروف نسبياً ، فى صربيا فى البلقان حيث شهد النزاع العثمانى — اليونانى — الصربى . ومع أنه كان أورثوذكسياً

---

(١) Arthur Hertzberg, ed., The Zionest Idea : A Historical Analysis and Reader. New York and Philadelphia : Meridian Books and Jewish Publication Society, 1960, صفحة ٢٣ ـ

http://kotob.has.it

يؤمن بمعجزية الخلاص ، رأى أن لا مانع من التحضير لهذه المعجزة بالاستيطان فى فلسطين من قبل اليهود(١) . وعاصر هذا الصهيونى المتقدم زفى هرش كاليشر (١٧٩٥ — ١٨٧٤) المولود فى بوزن فى بولندا حيث شهد صراع الروس والألمان والبولنديين ، وهو أيضاً القائل بضرورة تعاون الحكومات الأوروبية فى سبيل إعداد المسرح لتحقيق المعجزة الإلهية ، معجزة عودة اليهود وقيام دولة داود فى فلسطين(٢) . وقد ألف كتاباً أسماه « داريشات صهيون » (سعيا وراء صهيون) سنة ١٨٦٢ ، حاول فيه إقناع الأورثوذكس المتعصبين لمعجزية الخلاص بضرورة السعى الانسانى والسياسى والتمهيد المادى لتحقيق المعجزة . وكأنه يقول بأن المعجزة ليست معجزة وأن كل ما هو مطلوب هو الدأب على الهجرة والتنظيم(٣) . وكاليشر هو أول من دعا من العصريين إلى الاستعمار الزراعى فى أرض فلسطين وأسس فى فلسطين تحقيقا لهذه الفكرة مستعمرة نيتر شرقى يافا سنة ١٨٧٠ .

يبدو تأثر كاليشر بالقوميات المتطرفة — بل المقاتلة — الأوروبية واضحاً فى قوله : « لم يضحى أهل إيطاليا وغيرها من البلاد فى سبيل وطنهم بينما نقعد نحن اليهود عن أية تضحية؟ هل نحن دون أولئك الناس الذى يضحون بكل غال ونفيس ، بالمال والحياة ، فى سبيل وطنهم وقومهم ؟ ألا يجدر بنا الاعتبار بمثل الطليان والبولنديين والمجريين الذى ضحوا بممتلكاتهم ونفوسهم فى سبيل تحقيق استقلالهم القومى ؟ بينما نحن ، أبناء إسرائيل ،

---

(١) المرجع ذاته ، صفحة ٢١ و ١٠٧ . راجع أيضا فصل «Jewish Ethnicism» فى كتاب : Salo W. Baron وعنوانه Modern Nationalism and Religion. New York : Harper, 1947, صفحة ٢١٣ — ٢٤٩

(٢) راجع كتاب : The Zionist Idea : صفحة ١٠٩ وما يليها .

(٣) المصدر ذاته ، صفحة ١١١ و ١١٣ .

http://kotob.has.it

نتمتع بملكية أقدس الأراضي ، ولا حراك لنا ولا حيلة ؟»(١) .

وقام بعده بيريتز سمولينسكين (١٨٤٢ — ١٨٨٥) يدعو اليهود إلى التنازل عن مكاسب التحرير في روسيا عندما شاهد الاضطهادات الشنيعة التي تعرض لها اليهود في الثمانيات من القرن الماضي ، بينما كان قبل ذلك يدعو إلى تفهم القومية اليهودية كحركة روحية بحتة ، لاسياسة ولاأرض ولا مادة ولا عودة لفلسطين فيها(٢) . أما بعد الثورات الاضطهادية في بلده ، أخذ يردد : « لن تقبل اليهود أية أرض في هذا الكون سوى فلسطين أرض إسرائيل المقدسة . فهناك فقط يمكن لليهود تحقيق السلام والطمأنينة »(٣) .

ويشهد على نفس التطور في عقلية يهود أوروبا تاريخ حياة الزعيم الصهيوني ليوبينسكر (١٨١١ — ١٨٩١) لقد أعلنها بينسكر مراراً أنه مع التنوير والتحرير ، وكان قد تعلم الطب وربي تربية روسية محضة . وكان أبلى بلاء بطولياً في حرب القرم في خدمة الجيش الروسي حتى أنه حصل على ميدالية شرف من القيصر . وكان يدعو إلى ترويس اليهود وانصهارهم في جسم الأمة الروسية بوضوح وتأكيد . وأسس سنة ١٨٦٣ جمعية نشر الثقافة بين يهود روسيا بقصد تسهيل ترويسهم حتى ثورة ١٨٧١ التي اضطهد فيها الروس اليهود وقتلوهم ، لم تزحزح عقيدته بأن الانصهار هو خير طريق لسعادة اليهود . أما ثورات ١٨٨١ فإنها ، بالنظر إلى اشتراك الشعب الروسي برمته في تقتيل اليهود وبصورة خاصة بالنظر إلى اشتراك الطبقة المثقفة والحاكمة في أعمال الاضطهاد ، غير بينسكر وجهته . . تنحى عن عضوية جمعية نشر الثقافة وراح يبحث عن حل آخر لمشكلة بني جنسه .

---

(١) Israel Cohen, The Zionest Movement. New York : Zionest Organization of America.1946, صفحة ٥٤ وما يليها

(٢) راجع كتاب : The Zionist Idea : صفحة ١٤٥ و ١٥١ — ١٥٢

(٣) المصدر السابق . صفحة ١٥٢ .

http://kotob.has.it

ولم يكن بينسكر يدعو فى ذلك الوقت إلى الاستيطان فى فلسطين إذ اعتبر أن أية أرض أخرى مقبولة . وعن فكر بينسكر هذا نشأت جمعية « حبة صهيون » التى آزرها اللغنى روتشيلد والتى أخذت تشترى الأراضى فى فلسطين لتوطين اليهود فيها (١) .

والواقع أن اللاسامية الأوروبية الناتجة عن الرومانطيقية المغالية كانت تتقدم أكثر من الفكر اليهودى القائل بانصهار اليهود فى القوميات الأوروبية والمعاصرة . وسارع فى تقدم اللاسامية أن اليهود جنوا ثمرات هائلة وبسرعة مذهلة من تحريرهم فما كادوا يتحررون ويقبلون فى الأوساط التجارية والمدنية والسياسية الا وبزغوا فى كل حقل وجمعوا السلطة والحكم والمال والجاه فى أسرع من البرق . فبينما تفشت الانفرادية بين المسيحيين، دخل اليهود المعترك الاجتماعى والسياسى والميدان الاقتصادى كحزب واحد له قوميته المختلفة وبوعى جماعى لم يتوفر لأية فئة أخرى . وكان من الطبيعى أن يذهل المسيحيون لهذه المكاسب السريعة وأن يتنكروا لليهود وناصبوهم العداء . وبما أن الوعى العمالى كان قد بدأ يتأهب للثورات الاشتراكية والصناعية ، كان من السهل أن يتخذ هدفاً له الثراء الفاحش الذى جناه اليهود فى التجارة والصناعة .

هذا سبب لانتشار اللاسامية . والسبب الثانى هو أن أحلام القرن الثامن عشر الانسانية أخذت تتحطم وتتبدد . فبعد الثورة الافرنسية ، خاب أمل الأوربيين بتحقيق الجنة على الأرض على أسس التنوير ، فانسحبوا من العالمية إلى القومية الضيقة ، ومن الديموقراطية إلى الدكتاتورية ، ومن رؤى

---

(١) المصدر السابق . صفحة ١٧٩ـ١٨١ . وفيه نص الوثيقة « Auto Enancipation » التى خطها بينسكر . راجع أيضا كتاب كوهين السالف الذكر ، The Zionist Movement . صفحة ٦٥ وما يليها

http://kotob.has.it

المستقبل إلى الحلم بالماضى وتمجيده ، وأخذت نظريات القومية تأتى تباعاً وكلها مغالية فى رومانطقيتها . ولم يكد يعطى هيجل نظريته بأن « الدول هى فكرة الروح المطلق عندما تظهر متسمة فى الارادة الانسانية والحرية »(١) حتى راح هاينرميش فون ترايتشكة يقول « ان نشوء وتطور الدولة ليس إلا الشكل الخارجى الذى تلبسه روح الشعب على نفسها »(٢) . والفرق بين الموقفين هو الفرق بين النظرية القومية المبنية على العقل والنظرية القومية المبنية على عبادة الدولة .

وفى النمسا حيث لا يمكن قيام القومية على وحدة الجنس ، قال كارل رينر أن القومية هى وحدة المصير والثقافة(٣) . وفى فرنسا ، عرف رينسان القومية كاستفتاء يقوم به الشعب يومياً ولكنها ليست إلا استفتاء ، أى أن القرار الجماعى قرار عرفى . وقال فوستل دى كولانج « القومية الحقة ليست حب الأرض ، بل حب الماضى وتمجيد الأجيال السالفة »(٤) . وعلى هذا التطلع إلى الوراء بنى موريس باريس نظريته فى القومية الأحدية Integral Nationalism . وقال : « نحن ثمرة كيان جماعى ينطق فينا ، لندع تراث الأسلاف يستمر فينا ولنجعل من أنفسنا أبناء نشيطين وصادقين ملتحمين مع أجدادنا كيما نشكل قوماً أحدا مدى العصور »(٥) . ففى مثل

---

(١) George W. F. Hegel, Philosophy of History, tr. by J. Sibree. New York : Willy Brook Co., 1944. - ص ٤٧

(٢) Heinrich von Treitschke. Politfcs, tr. by Blanche Dugdale, et al. London : Constable, 1916. الجزء ١ . ص ١٢

(٣) راجع مقال : Salo W. Baron, «The Modern Age» فى كتاب Leo W. Sohwarz, ed. Great Ages and Ideas of the Jewish People . New York : Modern Library, 1956, ص ٣٠٥

(٤) نفس المصدر .

(٥) Maurice Barres, Scenens et doctrines dn Nationalism. Paris : Plon - Nourrit, 1925, الجزء الأول . ص ٩٤

http://kotob.has.it

هذه النظريات القومية المتطرفة لائمة محل لليهود . وكيف لهم أن يجدوا لنفسهم مكانا فى تاريخ قديم ومتوسط لم يدخلوه ولم يتأثروا به أبدا ؟

وفى سنة ١٨٩٤ جاءت قضية الفريد دريفوس ، الضابط فى الجيش الأفرنسى ، التى أحدثت تغيراً جذرياً فى نفس الشاب ثيودور هرتسل الذى جاء إلى باريس من فيينا كى يكون مراسلا لجريدة Neue Press فى القضية المذكورة(١) . فما أن جاءت السنة التالية إلا وألف هرتسل كتابه الشهير DerJudenstaat أو الدولة اليهودية .

وفى كتابه ، دعا هرتسل إلى قيام دولة علمانية لا علاقة لها البتة بالدين اليهودى أو بفكرة العودة المعجزية . الا أن صلة فكره كله بالتحرير والمشاكل التى أدى تحرير اليهود اليها واضح كالشمس . قال هرتسل : « اللاسامية المعاصرة يجب أن لا تخلط باضطهاد اليهود فى الأزمنة الغابرة ، ولو كان لها شىء من اللون الدينى فى بعض الأحيان . أن تيار الكره الرئيسى لليهود من نوع آخر . ففى مراكز اللاسامية الكبرى ، نشأ الكره لليهود من جراء التحرير . عندما فاقت الأمم المتمدنة إلى عدم انسانية اضطهادها لليهود وتمييزها العنصرى ضدهم طوال القرون الوسطى ، جاء تحريرنا متأخرا عن أوانه . إذ لم يعد يكفى القانون العام لتحريرنا من الجيتو القديم . ففى الجيتو ، تطورنا وتقدمنا إلى أن أصبحنا طبقة بورجوازية . وعندما خرجنا من الجيتو ، أصبحنا منافسا خطيرا للطبقات الأوروبية الوسطى . وعليه ، وجدنا أنفسنا وقد دفعنا إلى المعمعة دفعا . خرجنا

---

(١) Robert F. Byrnes, Anti-Semitism in Modern France. Vol 1, The Prologue to the Dreyfus Affair. New Brunswick, New Jersey : Rutgers University Press, 1950.

http://kotob.has.it

محررين ودخلنا فى الطبقة البورجوازية نحارب من الداخل ومن الخارج . فالبورجوازية المسيحية لا تتورع قط للتخلص منا نهائياً ككبش فداء الاشتراكية التى يريدونها »(١) .

وقال أيضاً : « لعلنا نذوب فى الأمم الأوروبية وننصهر معها دون قيد لو تركونا وعافونا من الاضطهاد والملاحقة لمدة جيلين فقط . ولكن أنى لهم فبعد قليل من سعة الصدر والتحرير ، تتفجر عداوة المسيحيين لنا من جديد . وكلما انصهرنا معهم ونجحنا فى أعمالنا ، يتأذون لذلك . فهم اعتبرونا منذ قرون أننا لا نصلح لعمل أو حياة . فهم على عماهم وعدم بصيرتهم وسوء نيتهم لنا ، أخفقوا فى ادراك هذه الحقيقة أن النجاح يفقدنا هويتنا ويمحى الفروق التى تميزنا عنهم . الضغط والاضطهاد فقط يرجعاننا إلا ذاتيتنا . عداؤهم هو الذى يوصمنا فى نظر أنفسنا بأننا غرباء . . أننا أمة واحدة خلقها أعداؤنا بعدائهم لنا »(١) .

وقال ماكس نورداو (١٨٤٩ - ١٩٢٣) متنكراً لفكرة الأورثوذكس بأن العودة ستتم بشكل معجز وعلى يد مسيحى إلهى منتظر : « الصهيونية نتيجة حركتين خارجتين عن اليهود :

الأولى : حركة القومية التى سيطرت على الفعل والشعور فى أوروبا أكثر من نصف قرن وجاءت مسئولة عن تاريخ العالم السياسى .

والثانية : اللاسامية التى أصاب شرها جميع اليهود أنى كانوا(٢) ».

وحتى فى أمريكا ، وهى التى تمسكت بمبادىء التنوير ووضعت

---

(١) راجع كتاب هرتزبرج السابق ذكره The Zionist Idea صفحة ٢١٨ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٢١٨ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٤٢ .

http://kotob.has.it

دستورها عليها كأساس ، ولم تعرف الجيتو بل كان اليهود فيها أحراراً منذ أن دخلوها ، لم تخل من اللاسامية ، وإن كانت اللاسامية فيها لم تبلغ درجة العنف والعداء المكشوف الذى بلغته فى أوروبا . ولنقرأ ما يقوله زعيم الصهاينة فيها ، الحاخام أبا هيلل سلفر ، فإنه يكشف عن مخاوف اليهود من اللاسامية الأمريكية ، إذ قال سنة ١٩٤٤ : « لقد جعل العالم الجديد ممكناً لزمن ما أن ينصهر اليهود فى جسم الأمة الأمريكية ويعرفوا أنفسهم كأمريكان . إلا أن هذا تبدد ولن يعود فى غالبية الأحيان . فاللاسامية التى تعودنا عليها فى العالم القديم (أى أوروبا) معنا وستظل معنا إلى الأبد . . . من غير المتوقع أن تقوم الفاشية فى أمريكا . ولكن الأمريكان الفاشيين الذين سيبقون لاساميين على ممر الدهور سيبقون معنا . . والحقيقة هى أننا نحن اليهود الامريكان ، نجد أنفسنا الآن فى مصاف اليهود فى شتى أنحاء العالم من تشتيت وتهديد . وقد أخذنا الآن نشعر مع إخواننا فى العالم أن مصيرهم مصيرنا وأن لا غنى لنا عنهم ولا غنى لهم عنا ، بل وإن هويتنا كلنا واحدة ، هى الهوية اليهودية(١) .

وهكذا نرى أن العالم كله أصبح فى نظر اليهود ناقضاً لمبادىء التنوير وآسفاً على التحرير الذى سلبه الكثير من رخائه المادى واطمئنانه إلى الدين والسياسة القائمة فى كل بلد ، بعد أن أشرك لليهود فى حياته وخرطهم فى صفوفه على قدم المساواة . فجاءت الصهيونية رداً على هذا ونتيجة لخيبة أمل اليهود فى المسيحيين الأوروبيين الذين أعطوا فندموا فأخذوا ما أعطوه عنوة فقتلوا .

٤ — الصهيونية والملل اليهودية المعاصرة :

لم يكن تبنى الملل اليهودية فكرة الصهيونية يأتى بنفس السهولة أو السرعة .

---

(١) كتاب هوتزبرج The Zionist Idea السابق ذكره . ص ٦٠٠ ـ ٦٠١

http://kotob.has.it

وقد رأينا ما لبعضها من مناقضة للمبادىء الصهيونية . فالصهيونيون لم يكونوا فى بادىء الأمر سوى أقلية ضئيلة فى أى حزب أو فئة . أما الأكثرية فكانت إما معارضة للصهيونية بصراحة أو غير مكترثة لها غير عابئة بدعايتها.

وكان أول تحول تجاه الصهيونية هو الذى قام به بعض المحافظين. وسرعان ما تبنت الملة المحافظة كلها البرنامج الصهيونى وأخذت تدعوله بشدة . وبالرغم من هذا ، كان يرى المحافظون تناقضاً بين دعوتهم إلى التجنس بالجنسية الأمريكية والاندماج فى المحيط الأمريكى وبين المبادىء الصهيونية . ولذلك جعلوا الصهيونية فى بادىء الأمر أمراً ثقافياً لا سياسياً . وكأنهم فسروا وعد بلفور التفسير الثقافى والروحى الذى فسرته إنجلترا بعد أن أصدرت التقرير الأبيض سنة ١٩٣٩(١) .

وبهذا التفسير ، استطاع الصهيونيون أن يندسوا فى صفوف المحافظين ويبثوا دعايتهم إلى أن أصبح المحافظون كلهم يعطفون على الحركة الصهيونية فى فلسطين . وساعد هذا التحول ما آمن به المحافظون من مبدأ « كلال يسرائيل » السابق ذكره ، وما ركزه هذا المبدأ من توجيه واهتمام بالأمة الإسرائيلية فى العالم ، وما أقامه من صروح حول إجماع الأمة فى أى رقت لا سيما فى العصر الحاضر . هم من السهل أن يتحول مبدأ « كلال يسرائيل » إلى برنامج سياسى يضمن الأمة اليهودية بكاملها ويستهدف تحقيق مصلحتها وكيانها .

وكان الأمر خلاف ذلك عند الإصلاحيين والأورثوذكس : أما الاصلاحيون فقد حذفوا من مبادئهم فكرة أن اليهود قوم . « لقد لازمنا

---

(١) وهو التقرير الذى اوقفت بموجبه انجلترا انتقال الأراضى إلى اليهود فى فلسطين مفسرة أنها قد أتمت تحقيق الوطن القومى اليهودى. بمعنى أنها أوجدت فى فلسطين كيانا روحياً وثقافياً لليهود . وأن هذا ما يبرر ذمتها . إذ هى لم تتعهد بانشاء وطن قومى بمعنى دولة يهودية.

http://kotob.has.it

مبدأ أن اليهود ليسوا قوماً ، فآمنا به إيماناً صادقاً وأكيداً . ولقد قمنا عملاً بهذا المبدأ ، بدفع الأعياد القومية اليهودية إلى مؤخرة اهتمامنا وحذفنا كل ذكر ودعاء بالعودة إلى صهيون من أدعيتنا وصلواتنا وطقوسنا»(١).

وبالرغم من هذا الموقف المبدئى ، وجد فى صفوف الاصلاحيين الربابنة جوستاف جوتهايل وبرنارد فلسنتال وستيفن وايز الذين دافعوا عن الصهيونية وجعلوا من أنفسهم أبواقاً لها داخل صفوف الاصلاحيين. وحاول هؤلاء وأنصارهم جر الملة بكاملها إلى المعسكر الصهيونى ولكنهم لم يفلحوا إلا فى سنة ١٩٤٣ . عندئذ وتحت ضغط الحرب العالمية الثانية وأخبار تقتيل اليهود على يد النازيين فى أوروبا ، استطاع الصهيونيون إقناع المؤتمر المركزى للربابنـــة الاصلاحيين بإقرار أول قرار ملائم للصهيونية . ونص هذا القرار على أن لائمة تناقض بين الصهيونية والمبادىء الاصلاحية .

أما المجتمعات الاصلاحية ، فقد قرر مؤتمرها المنعقد سنة ١٩٣٧ ، بعد أربع سنوات من تولى هتلر الحكم فى ألمانيا ، بأن «واجب اليهود جميعاً أن يساعدوا فى بناء فلسطين كوطن لليهود . وذلك ليس بمحاولة جعلها ملجأ لليهود والمضطهدين فحسب بل مركزاً للثقافة اليهودية والحياة اليهودية الروحية»(٢) . ولكن هذا القرار لم يفعل أكثر من إزالة معارضة الاصلاحيين للفكرة والبرامج الصهيونية . فهو لم يدفع بالملة كملة إلى المعسكر الصهيونى . وحسب نظام الـ Congregationalism المتبع فى الملة لكل مجتمع وكنيسة إصلاحية الحق فى إقرار ما تشاء . فبينما انخرط عدد

---

(١) The Hebrew Union College Journal, November1896

(٢) قارن بين مقالات : Reforn Judaism : Essays by Hebrew Union College Alumni, Cincinnati : Hebrow Union College Press, 1949.

http://kotob.has.it

كبير من الكنائس الاصلاحية فى صفوف الصهيونية ، بقى عدد مهم منها خارج هذا النطاق .

ولعل أهم فرع من الملة الإصلاحية الكنائس الداخلة فى المجلس الأميركى للدين اليهودى المسمى The American Council for Judaism والذى يرأسه الحاخام آلمر برجر الشهير ، الذى ألف كتباً عدة ضد الصهيونية. وهو لا يزال يعمل بنشاط هائل فى مكافحتها .

أما اليهود الأورثوذكس فقد انقسموا حول الصهيونية إلى قسمين : قسم المنظمة المزراحية ، وهى التى تقبلت الحل السياسى لمشكلة خلاص اليهود بدل الحل المعجز على يد الإله . وقسم جمعية أو أجودات إسرائيل ، الذى أصر على أن خلاص اليهود لن يتم بطريق السياسة وأن لا بد له من العمل المعجز الإلهى . لقد أقر مجلس الربابنة الأورثوذكس مبادىء كلا الحزبين بالرغم من اختلاف نظريتيهما . ومع هذا ، فالإنقسام لا يزال قائماً إلى يومنا .

يميل الجيل الجديد إلى المزراحيين فى تبنى الصهيونية كبديل للمخلص المسيح المنتظر . إلا أن المزراحيين ، بالرغم من تفوقهم العددى على آجودات إسرائيل ، لم ينخرطوا حتى هذه اللحظة رسميا فى المنظمة الصهيونية الأميركية . وهم يصرون أنهم يتعاونون معها فقط ، وأنهم ليسوا عليها .

وقد قام اليهود فى أميركا قيام رجل واحد سنة ١٩٤٨ للضغط على حكومتهم بمؤازرة وتأييد الدولة المزعومة والتأثير على الأمم المتحدة لإقرار التقسيم وإنشاء الدولة اليهودية . ففى تلك الآونة ، كانت الصهيونية لهم جميعاً ديناً . ولكن حماستهم أخذت تفتر بعد أن قامت إسرائيل وبلغ أحط درجاته سنة ١٩٦٧ قبيل حرب حزيران . ومع أنه تبين للجميع قبيل نكسة حزيران ١٩٦٧ وبعدها مدى تصهين يهود أميركا إذ كان حماستهم أشد من

http://kotob.has.it

حماسة ١٩٤٨، إلا أن الحقيقة التى لا مراء فيها هى أن حماستهم هذه المرة كانت مدفوعة من الحكومة الأميركية التى أطلقت جميع وسائل الأعلام الأميركى بالتهجم على العرب وتأييد إسرائيل .

ولا يمكننا أن نقول اليوم أن هذه الحماسة باقية بل على العكس، فالظاهر هو أن الصهيونية كدين قومى لليهود خارج إسرائيل قد انتهى أمره . وهذا لا يعنى أن اليهود لن يساعدوا إسرائيل، ولكنه يعنى بحق أن الشعور الدينى اليهودى أخذ يبحث عن أهداف أخرى بعد أن تحقق له حلمه القديم فى جعل فلسطين دولة يهودية من جهة ، وبعد أن اكتشف أن تحقيق ذلك الحلم لا يشبع كل مافى الشعور الدينى من ضغط وأمل .

http://kotob.has.it

الفصل الثامن

خلاصة البحث

يتبين جلياً من البحث السابق أن الدين اليهودى تحول وتغير رداً على ماجوبه به من قبل المسيحيين الأوربيين . وقد تقبل نظام الجيتو واستخدمه كى يحافظ على نفسه ويقويها بتطويع جميع الأنظمة والحقوق والواجبات والمشاعر للكيان الجماعى اليهودى .

فلما جاء عصر التنوير واعتنق المسيحيون مبادئه ، رأوا تناقضهم فى كبت اليهود فحرروهم . وعندما أخذ الأوروبيون يبنون مجتمعاتهم لا على نظام الأسر والكنائس بل على أسس عقلانية مثل المنفعة العامة ، دعوا اليهود إلى المساهمة فى هذا البناء على حد سواء .

ولكن سرعان ما تفوق اليهود على الأوروبيين فى هذا السباق الجديد فى عالم التجارة والصناعة والعلم وسيطروا على مراكز القيادة فى جميع المستويات وفى نفس الوقت ، راحت الفلسفة الأوروبية تدك صرح العقلانية التنويرية وراح المفكرون والعلماء والفنانون يشيدون قومياتهم على أسس رومانطيقية غالية تعتمد الدم والأرض والتاريخ . ولامكان لليهود فى الدم أو الأرض أو التاريخ ، فنشأت الحركات اللاسامية وبدأ اضطهاد اليهود يعود إلى أعماله البشعة .

وجاءت الصهيونية تؤكد انكماش اليهود على نفسهم بعد أن فتحتهم حركتا التنوير والتحرير ، وأخذوا يتوجسون خوفاً من اندلاع حركات لا سامية . ولم يخطئوا ، قامت الفاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا ثم اندلعت

http://kotob.has.it

الحرب العالمية الثانية فأتت على جميع مكاسب الحركتين . ونتج عن هذا التحام اليهود فى الحركة الصهيونية دفاعاً عن أنفسهم من موت محقق وأمل خائب فى المدنية الأوروبية المسيحية .

أما من حيث المبادىء ، فيرى اليهود أن حركتى التنوير والتحرير وإن أخفقتا فى النهاية ، فقد أثبتتا أن اليهودى لا يمكن أن يتحمل أثرهما دون أن يؤدى ذلك إلى ذوبانه فى القوم الذى يعيش فيه ، فكلما صدق الأوروبى فى تنويره وتحريره وعالميته وعلمانيته ، كلما ضعف الأساس الدينى عنده وبالتالى ضعف الأساس الدينى عند اليهود . ولذلك رأى معظم اليهود أن الحل لمشكلتهم ان يكون فى التحرير ، فذلك حل يحل المشكلة بتذويبهم .

ولم يكن أمامهم من حل آخر سوى الصهيونية ، لا سيما أن الحرب العالمية وتقتيل اليهود فيها كان لا يعطى مجالا للتأمل أو التخطيط البعيد . ومن البديهى أن اليهود لا يرغبون فى العودة إلى أمان وطمأنينة الجيتو . ففى الجيتو استعبادوشقا . كلى بالرغم من التضامن اليهودى الداخلى والوعى الدينى القوى اللذين تطلبهما الجيتو وحققهما بشكل تام .

وبعد أن تحقق حلم الصهيونية الأكبر بإنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ أخذ اليهود يراجعون أنفسهم عن مدى صلاحية الصهيونية كحل لمشكلتهم فإما أن يعتبروا المشكلة منتهية وهذا يقضى على اليهودية كدين قومى إذ تلزمهم الانصهار فى الجسم الغربى ، القومى الأكبر الذى يحيط بكل مجتمع من مجتمعاتهم الغربية أو أن يهاجروا لإسرائيل ويتصهينوا ولكن إسرائيل ليست مضمونة البقاء والسعادة . فالمليون عربى المحيطون بإسرائيل ان يتركوا فرصة للقضاء عليها وبهذه الحالة تظهر مشكلة اليهود من جديد ، فما الحل ؟

طالما أن الحل يقتضى عدم الاضطهاد الجماعى فلا رجعة إلى الجيتو .

http://kotob.has.it

وطالما أنه يقتضى عدم ذوبان اليهود فى العالم فلا رجعة إلى التنوير والتحرير والعلمانية التى يتلاشى الدين فيها .

وإذا كان لابد من وجود دولة إسرائيل، فعلى اليهود غير الإسرائيليين إما الانصهار فى مجتمعاتهم والتخلى عن يهود العالم ، وهذا غير مقبول ، أو الهجرة إليها والتصادم مع العرب تصادماً قد يطوح بالوجود اليهودى برمته من وجه التاريخ . فالمشكلة إذاً قائمة ، بل هى على أقصى ما يمكنها أن تكون من الأعضال .

الحل طبعاً ، يقضى بأن لا اضطهاد ولا ذوبان على اليهود ولا اعتداء لليهود على العرب ، وهذا بالذات ما حققه ميثاق المدينة الذى أعطاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة من مسلمين ويهود ، وما حققته المدنية الاسلامية من بعده . فاليهود ، فى الدولة الاسلامية « أمة من دون الناس تقوم بنفسها بتحقيق قوانينها وتنتخب رؤساءها الذين يديرونها ويرتبون أمورها متوخين العدالة كما تفهمها قانونهم وتراثهم . فهم يتمتعون ضمن الدولة الإسلامية بكل ما تمتعوا به من حقوق ومكاسب فى الجيتو ، بل أكثر من ذلك ، فالإسلام يضع سلطة الدولة الإسلامية التنفيذية تحت إمرة القضاء اليهودى كى تتحقق الهوية اليهودية فى جميع أبناء الشعب وعلى مر الدهور .

غير أنه ليس فى هذا النظام شيئاً من الظواهر البشعة التى فى الجيتو . فليس هناك اضطهاد جماعى ولا فردى ، بل يعيش اليهود بسلام وطمأنينة إذا هم أخلصوا للنظام الأكبر الذى يحميهم ويمتعهم بحقوق الحرية والبقاء المستمر الناجح والمحقق للقيم اليهودية . ونظير هذه الحماية يدفعون الجزية ويمكنهم أن يدفعوها اليوم لا كجزية مالية بل كخدمات لا تختلف

http://kotob.has.it

قط عن الخدمات التى يقدمها المسلمون لدولتهم بما فيها جهاد العدو المشترك كل حسب طاقاته وميوله .

فالإسلام هو النظام الأوحد الذى يحقق لليهود ما يبغون .

أولا : الحرية والبقاء فى سلام .

ثانياً : الكيان الجماعى الذى تتطلبه قوميتهم الدينية .

http://kotob.has.it

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول	
تبلور الدين اليهودى	٥ — ٢٠
١ — المنفى وأثره الدينى	٥
٢ — نشأة التلمود وإتمامه	١٦
الفصل الثانى	
الدين اليهودى فى القرون الوسطى	٢١ — ٢٩
١ — نشأة القبالا وتصنيف الشولحان أروخ	٢١
٢ — الجيتو وأثره الدينى	٢٣
الفصل الثالث	
عصر التنوير والتحرير	٣١ — ٤٣
١ — نحو عهد جديد	٣١
٢ — حركة التنوير فى أوروبا	٣٣
٣ — الرد اليهودى الأول : موسى مندلسون	٣٦
٤ — تحرير اليهود	٣٩
٥ — مشكلة التحرير الكبرى	٤١

http://kotob.has.it

الفصل الرابع

الملة الإصلاحية ٤٥ — ٦٣
١ — نشأة الملة الإصلاحية ٤٥
٢ — الفكر الإصلاحى ٤٨
٣ — إبراهام جايجر ٥٢
٤ — حركة الإصلاح بعد عام ١٨٥٠ ٥٥
٥ — مؤتمر بيتسبورج الإصلاحى سنة ١٨٧٥ ٥٨
٦ — نظم الملة الإصلاحية ٦٢

الفصل الخامس

الملة الأرثوذكسية ٦٥ — ٨٧
١ — بين القديم والجديد ٦٥
٢ — اليهود الشرقيون مجتمع حى ٦٦
٣ — كلمة الأرثوذكسية ٦٨
٤ — نشأة الملة الأرثوذكسية ٦٩
٥ — تجديد موقف هرسن الفكرى ٧٣
٦ — أول المعاهد الأرثوذكية ٧٨
٧ — الملة الأرثوذكية فى أميركا ٧٩
٨ — عقيدة الملة الأرثوذكسية ٨٣
٩ — نظم الملة الأرثوذكسية ٨٤

الفصل السادس

الملة المحافظة ٨٩ — ١٠٧
١ — نشأة الملة المحافظة ٨٩

http://kotob.has.it

٢ — تجديد موقف زكريا فرنكل ٩٢
٣ — المدرسة التاريخية فى أمريكا ٩٥
٤ — تطور ملة المحافظين ٩٩
٥ — موقف اسكندر كوهوت ١٠١
٦ — إيضاح سولومون شاختر ١٠٢
٧ — عقيدة الملة المحافظة ١٠٣
(ا) المبادىء العملية ١٠٣
(ب) المبادىء النظرية ١٠٤
٨ — نظم الملة المحافظة ١٠٦

الفصل السابع

الصهيونية أو حركة الانتقال من القومية الدينية
إلى الدين القومى ١٠٩ — ١٢٨
١ — أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ١٠٩
٢ — أثر التحرير فى الدين اليهودى وفى القومية
الدينية اليهودية ١١٢
٣ — نشأة الفكرة الصهيونية ١١٦
٤ — الصهيونية والملل اليهودية المعاصرة ١٢٤

الفصل الثامن

خلاصة البحث ١٢٩ — ١٣٢
الفهرس ١٣٣

http://kotob.has.it

مدونة

النقد النصي

old-criticism.blogspot.com

للعهد القديم

نحن مجموعة من طلبة العلم المُهتمين بما يسمى بعلم
" النقد النصي للعهد القديم "
هدفنا نشر هذا العلم النفيس والتعريف به
فمازال نقد نصوص العهد القديم علماً مهضوم الحق في ظل
إهتمام متزايد بدراسة " علم النقد النصي للعهد الجديد "
ونسعى - ونسأل الله أن يمكننا من ذلك - إلى توسيع قاعدته
البحثية وتعريبه ، واضعين ما يتيسر من أدوات تساعد الباحث ،
وخلاصة إنتاجنا وكتاباتنا والإخوة من أبحاث ومقالات على
الشبكة .
ونسأل الله العلي الكريم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم دون أي غرض للشهرة و الرياء .

Old Criticism blogspot

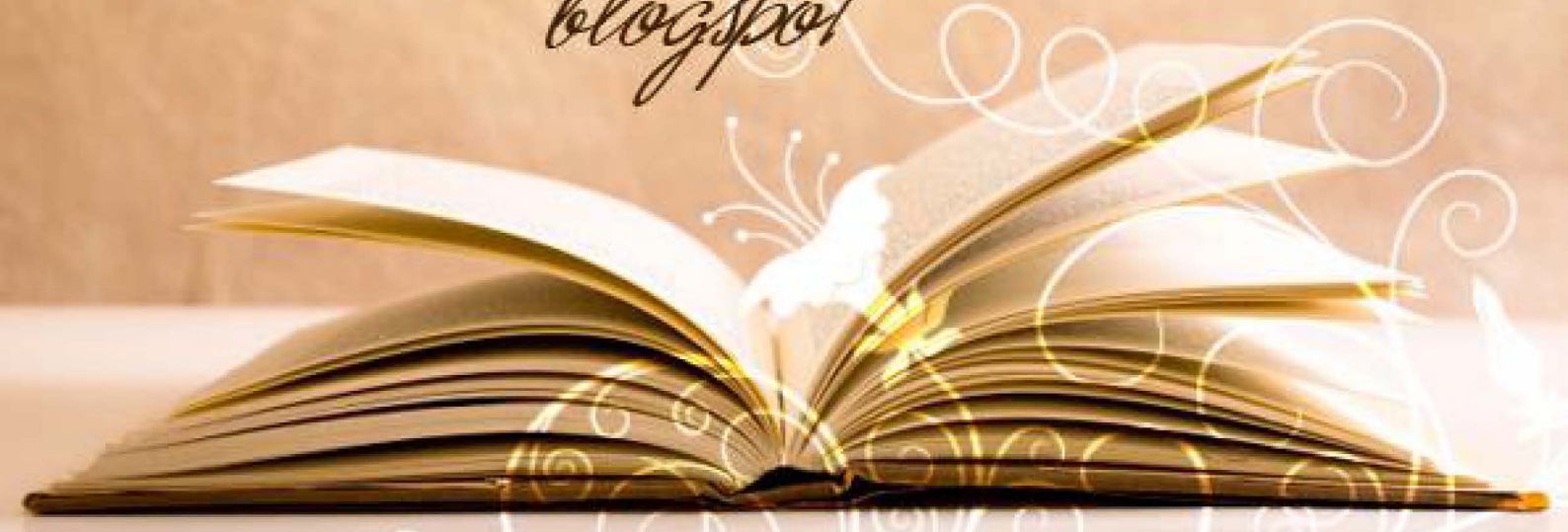

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.